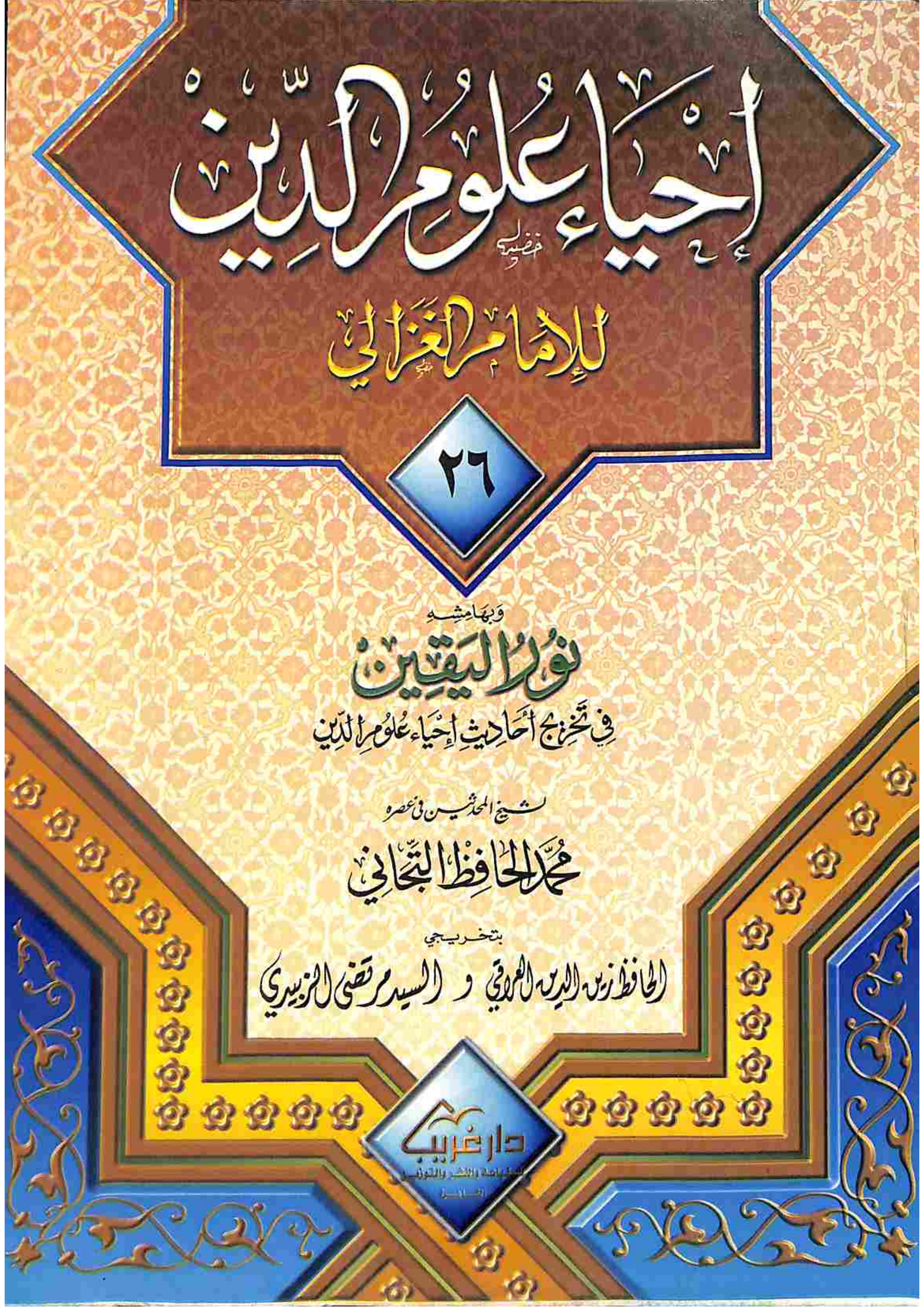
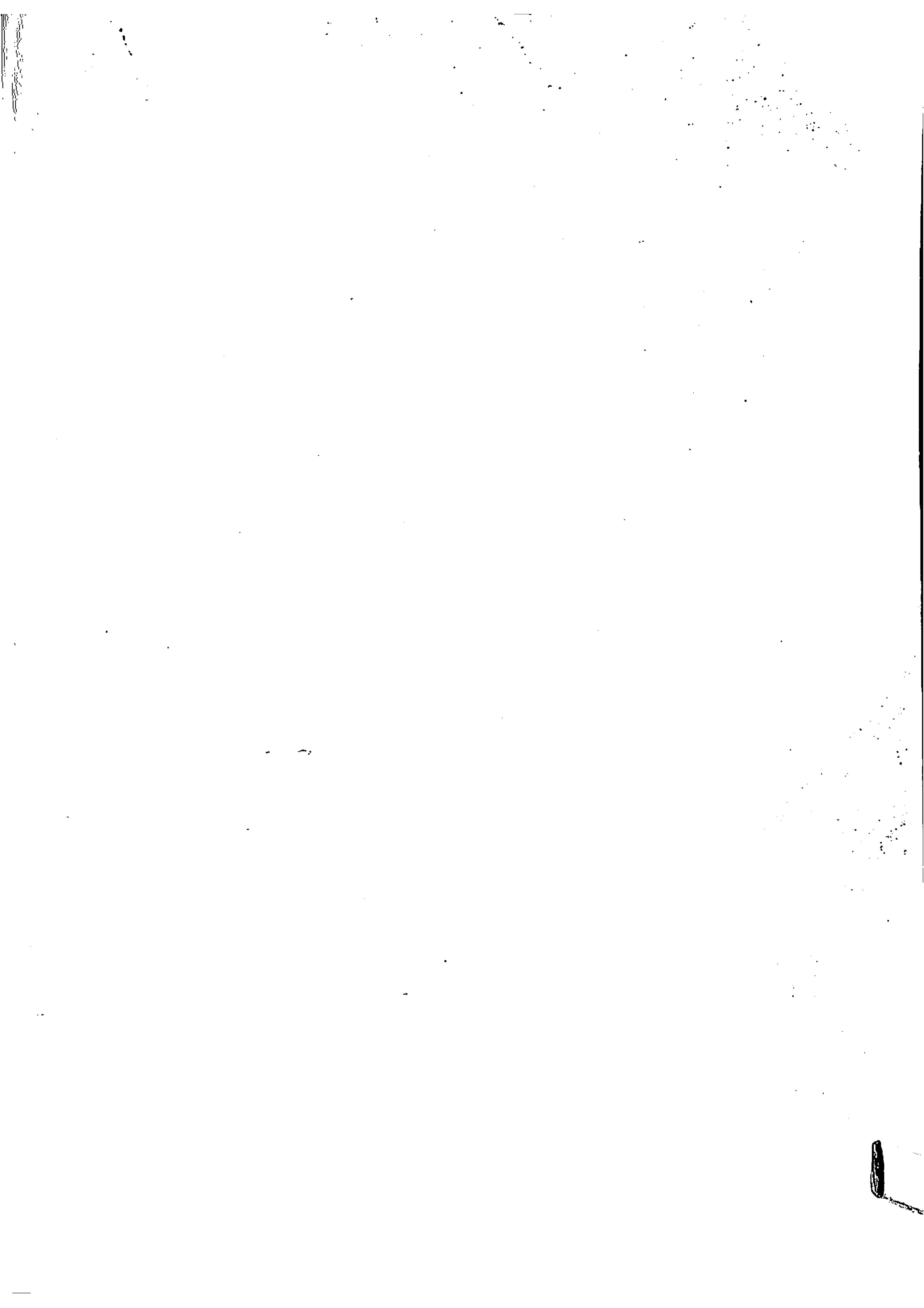

إحياء علوم الدين
للإمام الغزالي
٢٦
وبهامشه
نور اليقين
في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين
لشيخ المحدثين في عصره
محمد الحافظ التجاني
بتخريجي
الحافظ زين الدين العراقي و السيد مرتضى الزبيدي
دار غريب



وقال ﷺ : « إن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي » (١٧٧٤) .

وقال ﷺ : « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه متعلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه، ورجل دعته امرأة ذات حسب وجمال فقال . إني أخاف الله تعالى ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه » (١٧٧٥) .

= أجلي ثم ساق الحديث بطوله وقد روى ذلك أيضا من حديث معاذ أخرجه أحمد وابن حبان والطبراني والحاكم والبيهقي ولفظه قال الله تعالى وجبت محبتي للمتحابين فيّ والمتجالسين فيّ والمتباذلين والمتزاورين فيّ .

(١٧٧٤) حديث: قال ﷺ : « إن الله يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي ». **قال العراقي** : رواه مسلم من حديث أبي هريرة انتهى .

قال مرتضى : ورواه أحمد وابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان والطبراني في الكبير وأبو نعيم في الحلية من حديث العرباض ولفظه يقول الله تعالى المتحابون لجلالي في ظل عرشي يوم لا ظل إلا ظلي.

(١٧٧٥) حديث: قال ﷺ : « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات حسب وجمال فقال إني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه » . **قال العراقي** : متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم .اهـ.

وقال مرتضى : قد تقدم الكلام على ذلك في كتاب الزكاة مفصلا وقد رواه مالك في الموطأ والترمذي عن أبي هريرة أو عن أبي سعيد ورواه أحمد والشيخان والنسائي عن أبي هريرة ورواه مسلم عنهما معا ويروى سبعة في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله رجل ذكر الله ففاضت عيناه ورجل يحب عبداً لا يحبه إلا لله ورجل قلبه معلق بالمساجد من شدة حبه إياها ورجل يعطي الصدقة بيمينه فيكاد يخفيها عن شماله وإمام مقسط في رعيته ورجل عرضت عليه امرأة ذات منصب وجمال فتركها لجلال الله عز وجل ورجل كان في سرية مع قوم فلقوا العدو فانكشفوا فحمى آثارهم حتى نجا ونجوا أو استشهد هكذا رواه ابن زنجويه=

وقال ﷺ : « ما زار رجل رجلا في الله شوقا إليه، ورغبة في لقائه . إلا ناداه ملك من خلفه: طبت وطاب ممشاك وطابت لك الجنة » (١٧٧٦) .

وقال ﷺ : « إن رجلا زار أخا له في الله، فأرصد الله له ملكا فقال أين تريد؟ قال: أريد أن أزور أخي فلانا، فقال: لحاجة لك عنده، قال : لا قال: لقرابة بينك وبينه، قال : لا قال: فبنعمة له عندك، قال: لا، قال: فبم، قال: أحبه في الله، قال: فإن الله أرسلني إليك يخبرك بأنه يحبك لحبك إياه وقد أوجب لك الجنة » (١٧٧٧) .

وقال ﷺ : « أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله » (١٧٧٨) .

= عن الحسن مرسلا وابن عساكر عن أبي هريرة ويروى سبعة يظلهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله رجل قلبه معلق بالمساجد ورجل دعته امرأة ذات منصب فقال إني أخاف الله ورجلان تحابا في الله ورجل غض عينه عن محارم الله وعين حرست في سبيل الله وعين بكت من خشية الله وهكذا رواه البيهقي في الأسماء عن أبي هريرة وباقي الكلام على هذا الحديث تقدم في كتاب الزكاة .

(١٧٧٦) حديث : قال ﷺ : « ما زار رجل رجلا في الله شوقا إليه ورغبة في لقائه إلا ناداه ملك من خلفه طبت وطابت لك الجنة ». **قال العراقي** : رواه ابن عدى من حديث أنس دون قوله : شوقا إليه ورغبة في لقائه ، وللترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة : من عاد مريضا أو زار أخا في الله ، ناداه مناد من السماء طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا ، قال الترمذي غريب .اهـ.

وقال مرتضى : وكذلك ابن جرير أيضا .

(١٧٧٧) حديث : قال ﷺ : « إن رجلا زار أخا له في الله ، فأرصد الله له ملكا فقال أين تريد؟ فقال: أريد أزور أخي فلانا في الله ، فقال لحاجة لك عنده ؟ فقال : لا ، قال : لقرابة بينك وبينه ؟ قال : لا ، قال : بنعمة له عندك تربها ؟ قال : لا ، قال : فمه ؟ قال : أحبه في الله تعالى ، قال : إن الله أرسلني إليك يخبرك أنه يحبك بحبك إياه وقد أوجب لك الجنة » **قال العراقي** : رواه مسلم من حديث أبي هريرة .اهـ.

قال مرتضى : ولفظه أن رجلا زار أخا في الله تعالى في قرية أخرى فأرصد الله تعالى على مدرجه ملكا فقال : أين تريد قال : أردت أخا في هذه القرية قال هل بينك وبينه رحم تصلها أو له عليك نعمة تربها قال : لا إني أحببته في الله عز وجل قال : فإني رسول الله إليك إن الله تبارك وتعالى قد أحبك كما أحببته فيه .

(١٧٧٨) حديث : قال ﷺ : « أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله » ولفظ القوت=

فلهذا يجب أن يكون للرجل أعداء يبغضهم فى الله كما يكون له اصدقاء وإخوان يحبهم فى الله .

ويروى أن الله تعالى أوحى إلى نبى من الأنبياء أما زهدك فى الدنيا فقد تعجلت الراحة وأما انقطاعك إلىّ فقد تعززت بى ولكن هل عاديت فىّ عدوا أو هل واليت فىّ وليا.

وقال ﷺ : « **اللهم لا تجعل لفاجر على منة، فترزقه منى محبة** » .

ويروى أن الله تعالى أوحى إلى عيسى عليه السلام لو أنك عبدتنى بعبادة أهل السموات والأرض وحب فى الله ليس وبغض فى الله ليس ما أغنى عنك ذلك شيئا.

وقال عيسى عليه السلام تحببوا إلى الله ببغض أهل المعاصى، وتقربوا إلى الله بالتباعد منهم، والتمسوا رضا الله بسخطهم قالوا يا روح الله : فمن نجالس؟ قال: جالسوا من تذكركم الله رؤيته ، ومن يزيد فى عملكم كلامه ، ومن يرغبكم فى الآخرة عمله .

وروى فى الأخبار السالفة : أن الله عز وجل أوحى إلى موسى عليه السلام يا ابن عمران كن يقظانا وارتد لنفسك إخوانا وكل خدن وصاحب لا يؤازرك على مسرتى، فهو لك عدو .

= وروينا عن رسول الله ﷺ أنه قال لأصحابه أى عرى الإيمان أوثق قالوا الصلاة قال : حسنة وليس به قالوا الحج والجهاد قال : حسن وليس به قالوا فأخبرنا يارسول الله قال أوثق عرى الإيمان الحب فى الله تعالى والبغض فيه .اهـ. **قال العراقى** : رواه أحمد من حديث البراء بن عازب وفيه ليث بن أبى سليم مختلف فيه والخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود بسند ضعيف .اهـ.

وقال مرتضى : حديث البراء قد أخرجه أيضا الطيالسى ولفظه قال أتدرون أى عري الإيمان أوثق قلت : الصلاة قال : الصلاة حسنة وليست بذلك قلنا الصيام فقال: مثل ذلك حتى ذكرنا الجهاد فقال : مثل ذلك ثم ذكره وأخرج الطبرانى فى الكبير من حديث ابن عباس أوثق عرى الإيمان الموالاة فى الله والموادّة فى الله والحب فى الله والبغض فى الله .

وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام فقال يا داود مالى أراك منتبذا وحيدا قال: إلهى قليت الخلق من أجلك فقال: يا داود كن يقظانا وارتد لنفسك أخدانا وكل خدن لا يوفقك على مسرتى فلا تصاحبه فإنه لك عدو يقسى قلبك ويباعدك منى .

وفى أخبار داود عليه السلام أنه قال يا رب: كيف لى أن يحبنى الناس كلهم وأسلم فيما بينى وبينك ، خالق الناس بأخلاقهم ،وأحسن فيما بينى وبينك وفى بعضها خالق أهل الدنيا بأخلاق الدنيا، وخالق أهل الآخرة بأخلاق الآخرة .

وقال النبى ﷺ : « **إن أحبكم إلى الله الذين يألفون ويؤلفون وإن أبغضكم إلى الله المشاءون بالنميمة المفرقون بين الإخوان**»(١٧٧٩) .

وقال ﷺ : «**إن لله ملكا نصفه من النار ونصفه من الثلج يقول: اللهم كما ألفت بين الثلج والنار كذلك ألف بين قلوب عبادك الصالحين**»(١٧٨٠) .

(١٧٧٩) حديث : قال ﷺ : « إن أحبكم إلى الله الذين يألفون ويؤلفون وإن أبغضكم إلى الله المشاءون بالنميمة المفرقون بين الإخوان » كذا فى القوت. **قال العراقى** : رواه الطبرانى فى الأوسط والصغير من حديث أبى هريرة بسند ضعيف .اهـ.

(١٧٨٠) حديث : قال ﷺ : «إن لله ملكا نصفه من النار ونصفه من الثلج يقول : اللهم كما ألفت بين الثلج والنار كذلك ألف بين قلوب عبادك الصالحين » كذا فى القوت دون قوله: كذلك ، ودون قوله : قلوب. **قال العراقى** : رواه أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب العظمة من حديث معاذ بن جبل والعرباض بن سارية بسند ضعيف .

وقال مرتضى : أخرجه إبراهيم الحربى فى غريبه عن يعقوب بن إبراهيم عن ابن عاصم عن ثور عن خالد بن معدان قال إن لله ملكا فذكره إلا أنه فيه اللهم كما ألفت بين هذا الثلج وهذه النار فلا الثلج يطفئ النار ولا النار تذيب الثلج ألف بين قلوب عبادك الصالحين وهكذا هو فى عوارف المعارف ثم وجدته فى مسند الديلمى قال أخبرنا عبدوس حدثنا محمد بن الحسين حدثنا محمد بن بشر حدثنا عدى بن عمير حدثنا أبوالحسن بن البراء حدثنا عبد المنعم بن إدريس عن أبيه عن وهب عن ابن عباس رفعه إن لله ملكا نصف جسده الأعلى ثلج ونصفه الأسفل نار ينادى بصوت رفيع اللهم يا مؤلفا بين الثلج والنار ألف بين قلوب عبادك الصالحين على طاعتك سبحان الذى كف حر هذه النار فلا تذيب هذا الثلج وكف برد هذا الثلج فلا يطفئ حر هذه النار .

وقال أيضا : « ما أحدث عبد أخا فى الله إلا أحدث الله له درجة فى الجنة »[(١٧٨١)] .

وقال ﷺ : « **المتحابون فى الله على عمود من ياقوتة حمراء، فى رأس العمود سبعون ألف غرفة ؛ يشرفون على أهل الجنة، يضىء حسنهم لأهل الجنة، كما تضئ الشمس لأهل الدنيا فيقول أهل الجنة : انطلقوا بنا ننظر إلى المتحابين فى الله، فيضىء حسنهم لأهل الجنة كما تضىء الشمس عليهم ثياب سندس خضر مكتوب على جباههم المتحابون فى الله**»[(١٧٨٢)] .

الآثار : قال على رضي الله عنه : عليكم بالإخوان فإنهم عدة فى الدنيا والآخرة . ألا تسمع إلى قول أهل النار: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ۝ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ (الشعراء : ١٠٠، ١٠١) .

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : والله لو صمت النهار لا أفطره وقمت الليل لا أنامه وأنفقت مالى غلقا غلقا فى سبيل الله، أموت يوم أموت وليس فى قلبى حب لأهل طاعة الله وبغض لأهل معصية الله ، ما نفعنى ذلك شيئا.

وقال ابن السماك عند موته: اللهم إنك تعلم إنى إذا كنت أعصيك كنت أحب من يطيعك فاجعل ذلك قربة لى إليك.

(١٧٨١) حديث : قال ﷺ : « ما أحدث عبدٌ أخًا فى الله تعالى إلا أحدث الله له درجة فى الجنة» **قال العراقى:** رواه ابن أبي الدنيا فى كتاب الإخوان من حديث أنس وقد تقدم . اهـ.

وقال مرتضى : ورواه كذلك الديلمى فى مسند الفردوس وإسناده ضعيف .

(١٧٨٢) حديث : قال ﷺ : « المتحابون فى الله على عمود من ياقوتة حمراء فى رأس العمود سبعون ألف غرفة يشرفون على أهل الجنة حتى يضىء حسنهم لأهل الجنة كما تضىء الشمس لأهل الدنيا عليهم ثياب سندس خضر مكتوب علي جباههم المتحابون فى الله تعالى» هكذا أورده صاحب القوت والعوارف. **قال العراقى :** رواه الحكيم الترمذى فى النوادر من حديث ابن مسعود بسند ضعيف .اهـ.

وقال مرتضى : وعند الطبرانى فى الكبير من حديث أبى أيوب المتحابون فى الله على كراسى من ياقوت حول العرش .

وقال الحسن على ضده « **يا ابن آدم لا يغرنك قول من يقول المرء مع من أحب** » (١٧٨٣) .

« **فإنك لن تلحق الأبرار إلا بأعمالهم فإن اليهود والنصارى يحبون أنبياءهم وليسوا معهم** » (١٧٨٤) .

وهذه إشارة إلى أن مجرد ذلك من غير موافقة فى بعض الأعمال، أو كلها لا ينفع وقال الفضيل فى بعض كلامه : «**هاه تريد أن تسكن الفردوس وتجاور الرحمن فى داره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين** » (١٧٨٥) . بأى عمل عملته بأى شهوة تركتها بأى غيظ كظمته بأى رحم قاطع وصلتها بأى زلة لأخيك غفرتها بأى قريب باعدته فى الله بأى بعيد قاربته فى الله .

(١٧٨٣) حديث : قال الحسن البصري : «يا ابن آدم لا يغرنك قول من يقول المرء مع من أحب » .

قال مرتضى : أغفله العراقى وهو حديث مرفوع أخرجه أحمد والشيخان والثلاثة عن أنس وأخرجه البيهقى من حديث ابن مسعود .

(١٧٨٤) حديث : « إنك لن تلحق الأبرار إلا بأعمالهم فإن اليهود والنصارى يحبون أنبياءهم وليسوا معهم » .

قال مرتضى : أغفله العراقى وأخرجه العسكرى فى الأمثال من طريق داود بن . . . . حدثنا الحسن بن واصل قال الحسن : لا تغتر يا ابن آدم يقول من يقول أنت مع من أحببت فإنه من أحب قوما اتبع آثارهم واعلم أنك لن تلحق بالأخيار حتى تتبع آثارهم وحتى تأخذ بهديهم وتقتدى بسننهم وتصبح وتمسى على مناهجهم حرصا على أن تكون منهم .اهـ.

(١٧٨٥) حديث : قال الفضيل فى بعض كلامه : « هاه تريد أن تسكن الفردوس وتجاور الرحمن فى جواره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين » .

قال مرتضى : أغفله العراقى وهو ملفق من كلامين بإسنادين مختلفين قال أبو نعيم فى الحلية فى ترجمته حدثنا محمد بن إبراهيم حدثنا المفضل بن محمد حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال : قال رجل للفضيل كيف أصبحت وكيف أمسيت فقال فى عافية فقال : كيف حالك فقال عن أى حال تسأل عن حال الدنيا أو حال الآخرة إن كنت تسأل عن حال الدنيا فإن الدنيا قد مالت بنا وذهبت بنا كل مذهب وإن كنت تسأل عن حال الآخرة فكيف ترى حال من كثرت ذنوبه وضعف عمله وفنى عمره ولم يتزوّد لمعاده ولم يتأهب للموت ولم=

ويروى أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام، هل عملت لى عملا قط؟ فقال إلهى: إنى صليت لك وصمت وتصدقت وزكيت. فقال : إن الصلاة لك برهان والصوم جنة والصدقة ظل والزكاة نور. فأى عمل عملت لى قال موسى: إلهى دلنى على عمل هو لك ، قال يا موسى : هل واليت لى وليا قط وهل عاديت فىَّ عدوا قط. فعلم موسى أن أفضل الأعمال : الحب فى الله والبغض فى الله .

وقال ابن مسعود ﷺ لو أن رجلا قام بين الركن والمقام يعبد الله سبعين سنة لبعثه الله يوم القيامة مع من يحب . وقال الحسن ﷺ : مصارمة الفاسق قربان الله .

وقال رجل لمحمد بن واسع : « **إنى لأحبك فى الله فقال أحبك الذى أحببتنى له ثم حوّل وجهه وقال اللهم إنى أعوذ بك أن أحب فيك وأنت لى مبغض** » (١٧٨٦) .

ودخل رجل على داود الطائى فقال له : ما حاجتك فقال زيارتك فقال : أما أنت فقد عملت خيرا حين زرت ولكن انظر ماذا ينزل بى أنا إذا قيل لى : من أنت فتزار

= يتصنع ولم يتشمر للموت ولم يتزين للموت وتزين للدنيا هيه وقعد يحدث يعنى نفسه فاجتمعوا حولك يكتبون عنك بخ فقد تفرغت للحديث ثم قال هاه وتنفس طويلا ويحك أتحسن أن تحدث أو أنت أهل أن يحمل عنك استح يا أحمق بين الحمقان لولا قلة حيائك وسفاهة رأيك ما جلست تحدث وأنت أنت أما تعرف نفسك أما تذكر ما كنت وكيف كنت أما لو عرفوك ما جلسوا إليك ولا كتبوا عنك ولا سمعوا منك شيئا أبدا إلى آخر ما ذكر بطوله وقال أيضا حدثنا أبو محمد بن حيان حدثنا أحمد بن الحسين حدثنا أحمد بن إبراهيم حدثنا الفيض بن إسحاق قال سمعت فضيلا يقول تريد الجنة مع النبيين والصديقين وتريد أن تقف مع نوح وإبراهيم ومحمد عليهم السلام .

(١٧٨٦) حديث : « قال رجل لمحمد بن واسع إنى أحبك فى الله قال أحبك الذى أحببتنى لأجله ثم حول وجهه وقال اللهم إنى أعوذ بك أن أحب فيك وأنت لى مبغض » .

قال مرتضى : أغفله العراقى وأخرجه أبو نعيم فى الحلية قال حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله المفتولى حدثنا حاجب بن أبى بكر حدثنا أحمد بن إبراهيم حدثنا على بن إسحاق حدثنا ابن المبارك عن سفيان قال قيل لمحمد بن واسع إنى أحبك فى الله قال أحبك الذى أحببتنى له اللهم إنى أعوذ بك أن أحب فيك وأنت لى به ماقت مبغض.

أمن الزهاد أنت ؟ لا والله ، أمن العباد أنت ؟ لا والله ، أمن الصالحين أنت ؟ لا والله ، ثم أقبل يوبخ نفسه ويقول : كنت فى الشبيبة فاسقا، فلما شخت صرت مرائيا، والله للمرائى شر من الفاسق .

وقال عمر ﷺ : إذا أصاب أحدكم ودا من أخيه فليتمسك به فقلما يصيب ذلك.

وقال مجاهد المتحابون فى الله إذا التقوا فكشر بعضهم إلى بعض تتحات عنهم الخطايا كما يتحات ورق الشجر فى الشتاء إذا يبس . وقال الفضيل نظر الرجل إلى وجه أخيه على المودة والرحمة عبادة .

بيان معنى الإخوة فى الله وتمييزها من الإخوة فى الدنيا

اعلم أن الحب فى الله والبغض فى الله غامض، وينكشف الغطاء عنه بما نذكره. وهو أن الصحبة تنقسم إلى ما يقع بالاتفاق، كالصحبة بسبب الجوار أو بسبب الاجتماع فى المكتب أو فى المدرسة أو فى السوق أو على باب السلطان، أو فى الأسفار وإلى ما ينشأ اختيارا ويقصد ، وهو الذى نريد بيانه ، إذ الإخوّة فى الدين واقعة فى هذا القسم لا محالة ، إذ لا ثواب إلا على الأفعال الاختيارية، ولا ترغيب إلا فيها ، والصحبة عبارة عن المجالسة والمخالطة والمجاورة .

وهذه الأمور لا يقصد الإنسان بها غيره إلا إذا أحبه، فإن غير المحبوب يجتنب ويباعد ولا تقصد مخالطته والذى يحب فإما أن يحب لذاته لا ليتوصل به إلى محبوب ومقصود وراءه، وإما أن يحب للتوصل به إلى مقصود، وذلك المقصود إما أن يكون مقصورا على الدنيا وحظوظها ، وإما أن يكون متعلقا بالآخرة، وإما أن يكون متعلقا بالله تعالى فهذه **أربعة أقسام** :

القسم الأول : وهو حبك الإنسان لذاته ، فذلك ممكن وهو أن يكون فى ذاته محبوبا عندك على معنى أنك تلتذ برؤيته ومعرفته ومشاهدة أخلاقه لاستحسانك له. فإن كل جميل لذيذ فى حق من أدرك جماله، وكل لذيذ محبوب واللذة تتبع الاستحسان، والاستحسان يتبع المناسبة والملاءمة والموافقة بين الطباع .

ثم ذلك المستحسن إما أن يكون هو الصورة الظاهرة ، أعنى حسن الخلقة، وإما أن يكون هى الصورة الباطنة أعنى كمال العقل وحسن الأخلاق .

ويتبع حسن الأخلاق حسن الأفعال لا محالة ويتبع كمال العقل غزارة العلم وكل ذلك مستحسن عند الطبع السليم والعقل المستقيم وكل مستحسن فمستلذ به، ومحبوب بل فى ائتلاف القلوب أمر أغمض من هذا، فإنه قد تستحكم المودة بين شخصين من غير ملاحة فى صورة ولا حسن فى خلق وخلق، ولكن لمناسبة باطنة توجب الألفة والموافقة فإن شبه الشيء ينجذب إليه بالطبع .

والباطنة خفية ولها أسباب دقيقة، ليس فى قوّة البشر الإطلاع عليها ، عبر رسول الله ﷺ عن ذلك حيث قال: **«الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف»** (١٧٨٧) .

(١٧٨٧) حديث : قال ﷺ : « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف»
قال العراقى : رواه مسلم من حديث أبى هريرة والبخارى تعليقا من حديث عائشة .اهـ.

وقال مرتضى : رواه مسلم فى الأدب من صحيحه وكذا أحمد وأبو داود من طريق عبد العزيز بن محمد الدراوردى عن سهل عن أبيه ومن حديث جعفر بن برقان عن يزيد الأصم كلاهما عن أبى هريرة به مرفوعا وهو عند البخارى فى الأدب المفرد من طريق سليمان بن بلال عن سهيل وفى بدء الخلق من صحيحه تعليقا عن الليث ويحيى بن أيوب كلاهما عن يحيى بن سعيد عن عمرة عن عائشة سمعت رسول الله ﷺ وذكره ووصله عنها فى الأدب المفرد له .

فالتناكر نتيجة التباين والائتلاف نتيجة التناسب الذى عبر عنه بالتعارف وفى بعض الألفاظ «الأرواح جنود مجندة تلتقى فتتشام فى الهواء»[(١٧٨٨)] .

وقد كنى بعض العلماء عن هذا بأن قال : إن الله تعالى خلق الأرواح ففلق بعضها فلقا وأطافها حول العرش فأى روحين من فلقتين تعارفا هناك ، فالتقيا تواصلا فى الدنيا وقال ﷺ : « **إن أرواح المؤمنين ليلتقيان على مسيرة يوم وما رأى أحدهما صاحبه قط** »[(١٧٨٩)] .

وروى « **أن امرأة بمكة كانت تضحك النساء ،وكانت بالمدينة أخرى فنزلت المكية على المدينة فدخلت على عائشة ﵂ فأضحكتها. فقالت: أين نزلت؟ فذكرت لها**

(١٧٨٨) حديث : قال ﷺ : « الأرواح تلتقى فتتشام فى الهواء » **قال العراقى :** رواه الطبرانى فى الأوسط بسند ضعيف من حديث على أن الأرواح فى الهواء جند مجندة تلتقى فتتشام .... الحديث .اهـ.

قال مرتضى : ورأيت بالهامش نقلا من خط الحافظ ابن حجر ما نصه حديث على اختلفوا فى رفعه ووقفه وقد روى من حديث ابن مسعود .اهـ. وفى المقاصد للحافظ السخاوى وقال مسعدة بن صدقة دخلت على أبى عبد الله جعفر بن محمد الصادق فقلت له : يا ابن رسول الله إنى لأحبك فاطرق ساعة ثم رفع رأسه فقال : صدقت سل قلبك عما لك فى قلبي من حبك فقد أعلمنى قلبى عما لى فى قلبك ثم حدثنا عن آبائه الطاهرين عن جده رسول الله ﷺ فى الأرواح وإنها جنود مجندة تشتام كما تشتام الخيل فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف .اهـ. وأما حديث ابن مسعود الذى أشار إليه الحافظ فقد أخرجه الطبراني فى الكبير وقال الهيتمى رجاله رجال الصحيح وأخرجه العسكرى فى الأمثال من طريق إبراهيم العجوى عن أبى الأحوص عنه رفعه الأرواح جنود مجندة فتشام كما تشام الخيل فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف .

(١٧٨٩) حديث : قال ﷺ : «إن أرواح المؤمنين ليلتقيان على مسيرة يوم وما رأى أحدهما صاحبه قط ». **قال العراقى :** رواه أحمد من حديث عبد الله بن عمر وبلفظ تلتقى وقال أحدهم وفيه ابن لهيعة عن دراج انتهى .

وقال مرتضى : وفى الحلية لأبى نعيم فى ترجمة أويس أنه لما اجتمع به هرم بن حيان العبدى ولم يكن لقيه قبل وخاطبه أويس باسمه فقال له هرم من أين عرفت اسمى واسم أبى فو الله ما رأيتك قط ولا رأيتنى قال عرف روحى روحك حيث كلمت نفسى نفسك لأن الأرواح لها أنفس كأنفس الأجساد وإن المؤمنين يتعارفون بروح الله وإن نأت بهم الدار .

صاحبتها فقالت: صدق الله ورسوله سمعت رسول الله ﷺ يقول: الأروح جنود مجندة .... الحديث» (١٧٩٠).

والحق فى هذا أن المشاهدة والتجربة ، تشهد للائتلاف عند التناسب والتناسب فى الطباع والأخلاق باطنا وظاهرا أمر مفهوم ، وأما الأسباب التى أوجبت تلك المناسبة فليس فى قوة البشر ، الاطلاع عليها ،وغاية هذا بأن المنجم أن يقول: إذا كان طالعه على تسديس طالع غيره أو تثليثه فهذا نظر الموافقة والمودة، فتقتضى التناسب والتواد وإذا كان على مقابلته أو تربيعه، باقتضى التباغض والعداوة : فهذا لو صدق بكونه كذلك فى مجارى سنة الله فى خلق السموات والأرض، لكان الإشكال فيه أكثر من الإشكال فى أصل التناسب .

فلا معنى للخوض فيما لم يكشف سره للبشر ، فما أوتينا من العلم إلا قليلا. ويكفينا فى التصديق بذلك التجربة والمشاهدة . فقد ورد الخبر به قال ﷺ : « لو أن

(١٧٩٠) حديث : « أن امرأة بمكة كانت تضحك النساء وكانت بالمدينة أخرى فنزلت المكية على المدنية فدخلت على عائشة » ﵄ فأضحكتها فقالت أين نزلت فذكرت فقالت صدق الله ورسوله سمعت رسول الله ﷺ يقول : « فذكرت حديث الأرواح جنود مجندة .... الحديث ». **قال العراقى:** رواه الحسن بن سفيان فى مسنده بالقصة بسند حسن وحديث عائشة عند البخارى تعليقا مختصرا دونها كما تقدم انتهى .

قال مرتضى : وأخرجه أبو بكر بن أبى داود من طريق الليث ولفظه عن عمرة قالت : كانت امرأة مكية بطالة تضحك النساء يعنى وكانت بالمدينة امرأة مثلها فقدمت المكية المدينة فلقيت المدنية فتعارفتا فدخلتا على عائشة فعجبت من اتفاقهما فقالت عائشة للمكية عرفت هذه قالت لا ولكن التقينا فتعارفنا فضحكت عائشة وقالت سمعت رسول الله ﷺ وذكرته وأخرجه أبو يعلى بنحوه من حديث أيوب وعند الزبير بن بكار فى المزاح والفكاهة من طريق على بن أبى على اللهبى عن أبى شهاب عن عروة عن عائشة أن امرأة كانت بمكة تدخل على نساء قريش تضحكهن فلما هاجرن ووسع الله تعالى دخلت المدينة قالت عائشة فدخلت على فقالت لها فلانة ما أقدمك قالت إليكن قلت فأين نزلت قالت على فلانة امرأة كانت تضحك بالمدينة قالت عائشة ودخل رسول الله ﷺ فقال فلانة المضحكة عندكم قالت عائشة نعم فقال فعلى من نزلت قالت على فلانة المضحكة قال الحمد لله إن الأرواح وذكره .

فالتناكر نتيجة التباين والائتلاف نتيجة التناسب الذى عبر عنه بالتعارف وفى بعض الألفاظ «الأرواح جنود مجندة تلتقى فتتشام فى الهواء»[(١٧٨٨)].

وقد كنى بعض العلماء عن هذا بأن قال : إن الله تعالى خلق الأرواح ففلق بعضها فلقا وأطافها حول العرش فأى روحين من فلقتين تعارفا هناك ، فالتقيا تواصلا فى الدنيا وقال ﷺ : « إن أرواح المؤمنين ليلتقيان على مسيرة يوم وما رأى أحدهما صاحبه قط »[(١٧٨٩)].

وروى « أن امرأة بمكة كانت تضحك النساء ،وكانت بالمدينة أخرى فنزلت المكية على المدينة فدخلت على عائشة رضي الله عنها فأضحكتها. فقالت: أين نزلت؟ فذكرت لها

(١٧٨٨) حديث : قال ﷺ : « الأرواح تلتقى فتتشام فى الهواء » **قال العراقى :** رواه الطبرانى فى الأوسط بسند ضعيف من حديث على أن الأرواح فى الهواء جند مجندة تلتقى فتتشام .... الحديث .اهـ.

قال مرتضى : ورأيت بالهامش نقلا من خط الحافظ ابن حجر ما نصه حديث على اختلفوا فى رفعه ووقفه وقد روى من حديث ابن مسعود .اهـ. وفى المقاصد للحافظ السخاوى وقال مسعدة بن صدقة دخلت على أبى عبد الله جعفر بن محمد الصادق فقلت له : يا ابن رسول الله إنى لأحبك فاطرق ساعة ثم رفع رأسه فقال : صدقت سل قلبك عما لك فى قلبي من حبك فقد أعلمنى قلبى عما لى فى قلبك ثم حدثنا عن آبائه الطاهرين عن جده رسول الله ﷺ فى الأرواح وإنها جنود مجندة تشتام كما تشتام الخيل فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف .اهـ. وأما حديث ابن مسعود الذى أشار إليه الحافظ فقد أخرجه الطبراني فى الكبير وقال الهيتمى رجاله رجال الصحيح وأخرجه العسكرى فى الأمثال من طريق إبراهيم العجوى عن أبى الأحوص عنه رفعه الأرواح جنود مجندة فتشام كما تشام الخيل فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف .

(١٧٨٩) حديث : قال ﷺ : «إن أرواح المؤمنين ليلتقيان على مسيرة يوم وما رأى أحدهما صاحبه قط ». **قال العراقى :** رواه أحمد من حديث عبد الله بن عمر وبلفظ تلتقى وقال أحدهم وفيه ابن لهيعة عن دراج انتهى .

وقال مرتضى : وفى الحلية لأبى نعيم فى ترجمة أويس أنه لما اجتمع به هرم بن حيان العبدى ولم يكن لقيه قبل وخاطبه أويس باسمه فقال له هرم من أين عرفت اسمى واسم أبى فو الله ما رأيتك قط ولا رأيتنى قال عرف روحى روحك حيث كلمت نفسى نفسك لأن الأرواح لها أنفس كأنفس الأجساد وإن المؤمنين يتعارفون بروح الله وإن نأت بهم الدار .

صاحبتها فقالت: صدق الله ورسوله سمعت رسول الله ﷺ يقول: الأروح جنود مجندة .... الحديث» (١٧٩٠).

والحق فى هذا أن المشاهدة والتجربة ، تشهد للائتلاف عند التناسب والتناسب فى الطباع والأخلاق باطنا وظاهرا أمر مفهوم ، وأما الأسباب التى أوجبت تلك المناسبة فليس فى قوة البشر ، الاطلاع عليها ،وغاية هذا بأن المنجم أن يقول: إذا كان طالعه على تسديس طالع غيره أو تثليثه فهذا نظر الموافقة والمودة، فتقتضى التناسب والتواد وإذا كان على مقابلته أو تربيعه، باقتضى التباغض والعداوة : فهذا لو صدق بكونه كذلك فى مجارى سنة الله فى خلق السموات والأرض، لكان الإشكال فيه أكثر من الإشكال فى أصل التناسب .

فلا معنى للخوض فيما لم يكشف سره للبشر ، فما أوتينا من العلم إلا قليلا. ويكفينا فى التصديق بذلك التجربة والمشاهدة . فقد ورد الخبر به قال ﷺ : « لو أن

(١٧٩٠) حديث : « أن امرأة بمكة كانت تضحك النساء وكانت بالمدينة أخرى فنزلت المكية على المدنية فدخلت على عائشة » رضي الله عنها فأضحكتها فقالت أين نزلت فذكرت فقالت صدق الله ورسوله سمعت رسول الله ﷺ يقول : « فذكرت حديث الأرواح جنود مجندة . . . . الحديث ». **قال العراقى:** رواه الحسن بن سفيان فى مسنده بالقصة بسند حسن وحديث عائشة عند البخارى تعليقا مختصرا دونها كما تقدم انتهى .

قال مرتضى : وأخرجه أبو بكر بن أبى داود من طريق الليث ولفظه عن عمرة قالت : كانت امرأة مكية بطالة تضحك النساء يعنى وكانت بالمدينة امرأة مثلها فقدمت المكية المدينة فلقيت المدنية فتعارفتا فدخلتا على عائشة فعجبت من اتفاقهما فقالت عائشة للمكية عرفت هذه قالت لا ولكن التقينا فتعارفنا فضحكت عائشة وقالت سمعت رسول الله ﷺ وذكرته وأخرجه أبو يعلى بنحوه من حديث أيوب وعند الزبير بن بكار فى المزاح والفكاهة من طريق على بن أبى على اللهبى عن أبى شهاب عن عروة عن عائشة أن امرأة كانت بمكة تدخل على نساء قريش تضحكهن فلما هاجرن ووسع الله تعالى دخلت المدينة قالت عائشة فدخلت على فقالت لها فلانة ما أقدمك قالت إليكن قلت فأين نزلت قالت على فلانة امرأة كانت تضحك بالمدينة قالت عائشة ودخل رسول الله ﷺ فقال فلانة المضحكة عندكم قالت عائشة نعم فقال فعلى من نزلت قالت على فلانة المضحكة قال الحمد لله إن الأرواح وذكره .

مؤمنًا دخل إلى مجلس فيه مائة منافق، ومؤمن واحد ، لجاء حتى يجلس إليه، ولو أن منافقا دخل إلى مجلس فيه مائة مؤمن ومنافق واحد، لجاء حتى يجلس إليه» (١٧٩١) .

وهذا يدل على أن شبه الشيء منجذب إليه بالطبع، وإن كان هو لا يشعر به، وكان مالك بن دينار يقول: لا يتفق اثنان فى عشرة إلا وفى أحدهما وصف من الآخر وإن أجناس الناس كأجناس الطير ، ولا يتفق نوعان من الطير فى الطيران إلا وبينهما مناسبة قال: فرأى يوما غرابا مع حمامة ، فعجب من ذلك. فقال: اتفقا وليس من شكل واحد، ثم طارا فإذا هما أعرجان فقال : من ههنا اتفقا . ولذلك قال بعض الحكماء : كل إنسان يأنس إلى شكله كما أن كل طير يطير مع جنسه، وإذا اصطحب اثنان برهة من زمان ولم يتشاكلا فى الحال؛ فلابد أن يفترقا. وهذا معنى خفى تفطن له الشعراء حتى قال قائلهم:

وقائل كيف تفارقتما فقلت قولاً فيه انصاف

لم يك من شكلى ففارقته والناس أشكال وألاف

فقد ظهر من هذا أن الإنسان قد يحب لذاته لا لفائدة تنال منه فى حال، أو مآل، بل لمجرد المجانسة والمناسبة فى الطباع الباطنة والأخلاق الخفية، ويدخل فى هذا القسم

(١٧٩١) حديث : قال ﷺ : « لو أن مؤمنا دخل إلى مجلس وفيه مائة منافق ومؤمن واحد لجاء حتي يجلس إليه ولو أن منافقا دخل إلي مجلس فيه مائة مؤمن ومنافق واحد لجاء حتى يجلس إليه». **قال العراقى** : رواه البيهقى فى شعب الإيمان موقوفا على ابن مسعود وذكره صاحب الفردوس من حديث معاذ بن جبل ولم يخرجه ولده فى المسند انتهى .

قال مرتضى : حديث ابن مسعود أخرجه العسكرى فى الأمثال من طريق إبراهيم الهجرى عن أبى الأحوص عنه رفعه الأرواح جنود مجندة فتشام كما تشام الخيل فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فلو أن رجلا مؤمنا جاء إلى مجلس فيه مائة منافق وليس فيهم إلا مؤمن واحد لجاء حتى يجلس إليه ولو أن منافقا جاء إلى مجلس فيه مائة مؤمن وليس فيه إلا منافق واحد لجاء حتى يجلس إليه وأما حديث معاذ الذى أورده الديلمى بلا سند فلفظه لو أن رجلا مؤمنا دخل مدينة فيها ألف منافق ومؤمن واحد لشم روحه روح ذلك المؤمن وعكسه .

الحب للجمال، إذا لم يكن المقصود قضاء الشهوة فإن الصور الجميلة مستلذة فى عينها، وإن قدر فقد أصل الشهوة حتى يستلذ النظر إلى الفواكه والأنوار والأزهار والتفاح المشرب بالحمرة، وإلى الماء الجارى، والخضرة من غير غرض سوى عينها .

وهذا الحب لا يدخل فيه الحب لله ، بل هو حب بالطبع وشهوة النفس، ويتصور ذلك ممن لا يؤمن بالله ، إلا أنه أن اتصل به غرض مذموم، صار مذموما . كحب الصورة الجميلة، لقضاء الشهوة .حيث لا يحل قضاؤها وإن لم يتصل به غرض مذموم، فهو مباح لا يوصف بحمد ولا ذم. إذ الحب إما محمود وإما مذموم وإما مباح لا يحمد ولا يذم .

القسم الثانى : أن يحبه لينال من ذاته غير ذاته. فيكون وسيلة إلى محبوب غيره. والوسيلة إلى المحبوب محبوب، وما يحب لغيره كان ذلك الغير هو المحبوب بالحقيقة. ولكن الطريق إلى المحبوب محبوب، ولذلك أحب الناس الذهب والفضة، ولا غرض فيهما ، إذ لا يطعم ولا يلبس، ولكنهما وسيلة إلى المحبوبات .

فمن الناس من يحب كما يحب الذهب والفضة، من حيث إنه وسيلة إلى المقصود، إذ يتوصل به إلى نيل جاه أو مال أو علم ، كما يحب الرجل سلطانا لانتفاعه بماله أو جاهه، ويحب خواصه لتحسينهم حاله عنده وتمهيدهم أمره فى قلبه .

فالمتوسل إليه إن كان مقصور الفائدة على الدنيا ، لم يكن حبه من جملة الحب فى الله ، وإن لم يكن مقصور الفائدة على الدنيا ولكنه ليس يقصد به إلا الدنيا، كحب التلميذ لأستاذه ، فهو أيضا خارج عن الحب لله، فإنه إنما يحبه ليحصل منه العلم لنفسه ، فمحبوبه العلم فإذا كان لا يقصد العلم. للتقرب إلى الله، بل لينال به الجاه والمال والقبول عند الخلق، فمحبوبه الجاه والقبول ، والعلم وسيلة إليه، والأستاذ وسيلة إلى العلم فليس فى شىء من ذلك حب لله .

إذ يتصور كل ذلك ممن لا يؤمن بالله تعالى أصلا، ثم ينقسم هذا أيضا إلى: مذموم ومباح، فإن كان يقصد به التوصل إلى مقاصد مذمومة من قهر الأقران وحيازة أموال اليتامى وظلم الرعاة بولاية القضاء أو غيره، كان الحب مذموما. وإن كان يقصد به التوصل إلى مباح فهو مباح. وإنما تكتسب الوسيلة الحكم والصفة من المقصد المتوصل إليه فإنها تابعة له غير قائمة بنفسها.

القسم الثالث : أن يحبه لا لذاته بل لغيره، وذلك الغير ليس راجعا إلى حظوظه في الدنيا، بل يرجع إلى حظوظه فى الآخرة ، فهذا أيضا ظاهر لا غموض فيه، وذلك كمن يحب أستاذه وشيخه، لأنه يتوصل به إلى تحصيل العلم، وتحسين العمل. ومقصوده من العلم والعمل الفوز فى الآخرة. فهذا من جملة المحبين فى الله، وكذلك من يحب تلميذه لأنه يتلقف منه العلم وينال بواسطته رتبة التعليم ويرقى به إلى درجة التعظيم فى ملكوت السماء .

إذ قال عيسى عليه السلام : « من عَلِمَ وعَمِلَ وعَلَّمَ فذلك يدعى عظيما فى ملكوت السماء» . ولا يتم التعليم إلا بمتعلم فهو إذاً آلة فى تحصيل هذا الكمال فإن أحبه لأنه آلة له إذ جعل صدره مزرعة لحرثه الذى هو سبب ترقيه إلى رتبة التعظيم فى ملكوت السماء فهو محب فى الله، بل الذى يتصدق بأمواله لله ويجمع الضيفان، ويهيئ لهم الأطعمة اللذيذة الغريبة، تقربا إلى الله، فأحب طباخا لحسن صنعته فى الطبخ فهو من جملة المحبين فى الله .

وكذا لو أحب من يتولى له إيصال الصدقة إلى المستحقين، فقد أحبه فى الله، بل نزيد على هذا ونقول : إذا أحب من يخدمه بنفسه فى ، غسل ثيابه وكنس بيته وطبخ طعامه . ويفرغه بذلك للعلم أو العمل، ومقصوده من استخدامه فى هذه الأعمال الفراغ للعبادة ، فهو محب فى الله بل نزيد عليه. ونقول: إذا أحب من ينفق عليه من ماله ويواسيه بكسوته وطعامه ومسكنه وجميع أغراضه التى يقصدها، فى دنياه ومقصوده من جملة ذلك الفراغ للعلم، والعمل المقرب إلى الله فهو محب فى الله .

فقد كان جماعة من السلف تكفل بكفايتهم جماعة من أولى الثروة، وكان المواسى والمواسى جميعا من المتحابين فى الله ، بل نزيد عليه ونقول: من نكح امرأة صالحة ليتحصن بها عن وسواس الشيطان ويصون بها دينه أو ليولد منها له ولد صالح يدعو له وأحب زوجته لأنها آلة إلى هذه المقاصد الدينية فهو محب فى الله .

ولذلك وردت الأخبار بوفور الأجر والثواب على الإنفاق على العيال، حتى اللقمة يضعها الرجل فى فِي امرأته ، بل نقول : كل من استهتر بحب الله وحب رضاه وحب لقائه فى الدار الآخرة، فإذا أحب غيره كان محبا فى الله لأنه لا يتصور أن يحب شيئا إلا لمناسبته لما هو محبوب عنده، وهو رضا الله عز وجل .

بل أزيد على هذا وأقول إذا اجتمع فى قلبه محبتان؛ محبة الله ومحبة الدنيا واجتمع فى شخص واحد المعنيان جميعا حتى صلح لأن يتوسل به إلى الله وإلى الدنيا، فإذا أحبه لصلاحه للأمرين فهو من المحبين فى الله ،كمن يحب أستاذه الذى يعلمه الدين ويكفيه مهمات الدنيا بالمواساة فى المال، فأحبه من حيث أن فى طبعه طلب الراحة فى الدنيا والسعادة فى الآخرة، فهو وسيلة إليهما. فهو محب فى الله .

وليس من شرط حب الله أن لا يحب فى العاجل حظا البتة. إذ الدعاء الذى أمر به الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه فيه جمع بين الدنيا والآخرة ومن ذلك قولهم : ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً ﴾ (البقرة : ٢٠١) .

وقال عيسى عليه السلام فى دعائه : « اللهم لا تشمت بى عدوى، ولا تسوء بى صديقى ولا تجعل مصيبتى لدينى، ولا تجعل الدنيا أكبر همى » فدفع شماتة الأعداء من حظوظ الدنيا، ولم يقل ولا تجعل الدنيا أصلا من همى، بل قال لا تجعلها أكبر همى .

وقال نبينا ﷺ في دعائه: « **اللهم إنى أسألك رحمة أنال بها شرف كرامتك فى الدنيا والآخرة**»(١٧٩٢) .

وقال: « **اللهم عافنى من بلاء الدنيا وبلاء الآخرة**» (١٧٩٣) .

وعلى الجملة، فإذا لم يكن حب السعادة فى الآخرة مناقضا لحب الله تعالى؛ فحب السلامة والصحة والكفاية والكرامة فى الدنيا ، كيف يكون مناقضا لحب الله والدنيا والآخرة ، عبارة عن حالتين ، إحداهما أقرب من الأخرى ، فكيف يتصور أن يحب الإنسان حظوظ نفسه غدا ولا يحبها اليوم وإنما يحبها غدا، لأن الغد سيصير حالا راهنة فالحالة الراهنة لابد أن تكون مطلوبة أيضا .

إلا أن الحظوظ العاجلة منقسمة إلى ما يضاد حظوظ الآخرة ويمنع منها ، وهى التى احترز عنها الأنبياء والأولياء، وأمروا بالاحتراز عنها ، وإلى ما لا يضاد وهى التى لم يمتنعوا منها كالنكاح الصحيح وأكل الحلال، وغير ذلك مما يضاد حظوظ الآخرة . فحق العاقل أن يكرهه ولا يحبه ، أعنى أن يكرهه بعقله ، لا بطبعه كما يكره التناول

(١٧٩٢) حديث : قال نبينا ﷺ فى دعائه: « اللهم إنى أسألك رحمة أنال بها شرف كرامتك فى الدنيا والآخرة ». **قال العراقى:** رواه الترمذى من حديث ابن عباس في الحديث الطويل فى دعائه ﷺ بعد صلاة الليل وقد تقدم .اهـ.

قال مرتضى : وكذلك رواه محمد بن نصر في كتاب صلاة الليل والطبرانى فى الكبير والبيهقى فى الدعوات من طريق داود بن على بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده وقد مر ذلك فى كتاب الأوراد بطوله .

(١٧٩٣) حديث: قال ﷺ : « اللهم عافنى من بلاء الدنيا وعذاب القبر ». **قال العراقى :** رواه أحمد من حديث بشر بن أبى أرطأة نحوه بسند جيد انتهى .

قال مرتضى : يشير إلى قوله اللهم أحسن عاقبتنا فى الأمور كلها واجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة وقد رواه كذلك أحمد وابن حبان والطبرانى . قال الهيثمى رجال أحمد وأحد إسنادى الطبرانى ثقات رواه مسلم من حديث أبى هريرة رفعه « اللهم اصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى واصلح لى دنياى التى فيها معاشى واصلح لى آخرتى التى فيها معادى » .

من طعام لذيذ لملك من الملوك يعلم أنه لو أقدم عليه لقطعت يده، أو حزت رقبته لا بمعنى أن الطعام اللذيذ يصير بحيث لا يشتهيه بطبعه، ولا يستلذه لو أكله ، فإن ذلك محال ولكن على معنى أنه يزجره عقله عن الإقدام عليه، وتحصل فيه كراهة الضرر المتعلق به .

والمقصود من هذا أنه لو أحب أستاذه لأنه يواسيه ويعلمه، أو تلميذه لأنه يتعلم منه ويخدمه ، وأحدهما حظ عاجل، والآخر آجل لكان فى زمرة المتحابين فى الله ، ولكن بشرط واحد، وهو أن يكون بحيث لو منعه العلم مثلاً أو تعذر عليه تحصيله منه، لنقص حبه بسببه ، فالقدر الذى ينقص بسبب فقده هو لله تعالى، وله على ذلك القدر ثواب الحب فى الله ، وليس بمستنكر أن يشتد حبك لإنسان لجملة أغراض ترتبط لك به ، فإن امتنع بعضها نقص حبك، وإن زاد زاد الحب ، فليس حبك للذهب كحبك للفضة إذا تساوى مقدارهما ، لأن الذهب يوصل إلى أغراض هى أكثر مما توصل إليه الفضة، فإذا يزيد الحب بزيادة الغرض ولا يستحيل اجتماع الأغراض الدنيوية والآخروية، فهو داخل فى جملة الحب لله وحده ، هو أن كل حب لولا الإيمان بالله واليوم الآخر لم يتصوّر وجوده ، فهو حب فى الله وكذلك كل زيادة فى الحب لولا الإيمان بالله ، لم تكن تلك الزيادة، فتلك الزيادة من الحب فى الله ، فذلك وإن دق فهو عزيز .

قال الجريري: تعامل الناس فى القرن الأول بالدين حتى رق الدين، وتعاملوا فى القرن الثانى بالوفاء ، حتى ذهب الوفاء، وفى الثالث بالمروءة، حتى ذهبت المروءة ولم يبق إلا الرهبة والرغبة .

القسم الرابع : أن يحب لله وفى الله لا لينال منه علمًا ، أو عملاً أو يتوسل به إلى أمر وراء ذاته، وهذا أعلى الدرجات وهو أدقها وأغمضها. وهذا القسم أيضا ممكن، فإن من آثار غلبة الحب أن يتعدى من المحبوب إلى كل من يتعلق بالمحبوب،

ويناسبه ، ولو من بعد، فمن أحب إنسانا حبا شديدا، أحب محب ذلك الإنسان وأحب محبوبه وأحب من يخدمه وأحب من يثنى عليه محبوبه، وأحب من يتسارع إلى رضا محبوبه، حتى قال بقية بن الوليد: إن المؤمن إذا أحب المؤمن أحب كلبه، وهو كما قال : ويشهد له التجربة فى أحوال العشاق ويدل عليه أشعار الشعراء، ولذلك يحفظ ثوب المحبوب ويخفيه تذكرة من جهته ويحب منزله ومحلته وجيرانه. حتى قال مجنون بنى عامر:

أمــر علـى الديـار ديـار لـيلـى ... أقــبل ذا الجـدار وذا الجـدارا
ومـا حب الديـار شـغـفن قلـبي ... ولـكـن حـب مـن سـكـن الـديـارا

فإذا المشاهدة والتجربة، تدل على أن الحب يتعدى من ذات المحبوب إلى ما يحيط به ويتعلق بأسبابه ويناسبه ولو من بعد، ولكن ذلك من خاصية فرط المحبة. فأصل المحبة لا يكفى فيه ، ويكون اتساع الحب فى تعديه من المحبوب إلى ما يكتنفه، ويحيط به ويتعلق بأسبابه. بحسب إفراط المحبة وقوتها. وكذلك حب الله سبحانه وتعالى، إذا قوى وغلب على القلب، استولى عليه حتى انتهى إلى حد الاستهتار، فيتعدى إلى كل موجود سواه فإن كل موجود سواه. أثر من آثار قدرته، ومن أحب إنسانا أحب صنعته وخطه وجميع أفعاله. ولذلك كان ﷺ : « **إذا حمل إليه باكورة من الفواكه مسح بها عينه وأكرمها وقال: إنه قريب العهد بربنا** » (١٧٩٤) .

وحب الله تعالى تارة يكون لصدق الرجاء فى مواعيده ، وما يتوقع فى الآخرة من نعيمه ، وتارة لما سلف من أياديه وصنوف نعمته ، وتارة لذاته لا لأمر آخر وهو

(١٧٩٤) حديث: « كان ﷺ إذا حمل إليه باكورة من الفواكه مسح بها عينيه واكرمها وقال إنها قريب عهد بربها » **قال العراقى** : رواه الطبرانى فى الصغير من حديث ابن عباس وأبو داود فى المراسيل والبيهقى فى الدعوات من حديث أبى هريرة دون قوله واكرمها .... الخ وقال إنه غير محفوظ وحديث أبي هريرة فى الباكورة عند بقية أصحاب السنن دون مسح عينه بها وما بعده وقال الترمذى حسن صحيح .اهـ.

أدق ضروب المحبة وأعلاها ، وسيأتى تحقيقها فى كتاب المحبة من ربع المنجيات إن شاء الله تعالى.

وكيفما اتفق حب الله فإذا قوى تعدى إلى كل متعلق به ضربًا من التعلق حتى يتعدى إلى ما هو فى نفسه ، مؤلم مكروه ، ولكن فرط الحب يضعف الإحساس بالألم، والفرح بفعل المحبوب ، وقصده إياه بالإيلام يغمر إدراك الألم، وذلك كالفرح بضربة من المحبوب، أو قرصة فيها نوع معاتبة ، فإن قوة المحبة تثير فرحا يغمر إدراك الألم فيه وقد انتهت محبة الله بقوم إلى أن قالوا: لا نفرق بين البلاء والنعمة، فإن الكل من الله ولا نفرح إلا بما فيه رضاه ، حتى قال بعضهم : لا أريد أن أنال مغفرة الله بمعصية الله .

وقال سمنون: وليس لى فى سواك حظ فكيفما شئت فاختبرنى ، وسيأتى تحقيق ذلك فى كتاب المحبة. والمقصود أن حب الله إذا قوى أثمر حب كل من يقوم بحق عبادة الله فى علم أو عمل، وأثمر حب كل من فيه صفة مرضية عند الله من خلق حسن، أو تأدب بآداب الشرع، وما من مؤمن محب للآخرة ومحب لله إلا إذا أخبر عن حال رجلين: أحدهما عالم عابد ، والآخر جاهل فاسق ، إلا وجد فى نفسه ميلا إلى العالم العابد ، ثم يضعف ذلك الميل ويقوى بحسب ضعف إيمانه وقوّته وبحسب ضعف حبه لله وقوته وهذا الميل حاصل، وإن كانا غائبين عنه، بحيث يعلم أنه لا يصيبه منهما خير ولا شر فى الدنيا ولا فى الآخرة .

فذلك الميل هو حب فى الله . ولله من غير حظ، فإنه إنما يحبه لأن الله يحبه ولأنه مرضى عند الله تعالى، ولأنه يحب الله تعالى، ولأنه مشغول بعبادة الله تعالى، إلا أنه إذا ضعف لم يظهر أثره ،ولا يظهر به ثواب ولا أجر، فإذا قوى حمل على الموالاة والنصرة والذب بالنفس والمال واللسان، وتتفاوت الناس فيه بحسب تفاوتهم فى حب الله عز وجل. ولو كان الحب مقصورا على حظ ينال من المحبوب فى الحال أو المآل لما تصوّر حب الموتى من العلماء والعباد، ومن الصحابة والتابعين، بل من الأنبياء

المنقرضين صلوات الله عليهم وسلامه. وحب جميعهم مكنون فى قلب كل مسلم متدين .

ويتبين ذلك بغضبه عند طعن أعدائهم فى واحد منهم، وبفرحه عند الثناء عليهم، وذكر محاسنهم، وكل ذلك حب لله لأنهم خواص عباد الله. ومن أحب ملكا، أو شخصا جميلا أحب خواصه، وخدمه وأحب من أحبه ، إلا أنه يمتحن الحب بالمقابلة بحظوظ النفس. وقد يغلب بحيث لا يبقى للنفس حظ إلا فيما هو حظ المحبوب، وعنه عبر قول من قال:

أريد وصاله ويريد هجرى فأترك ما أريد لما يريد

وقول من قال :

وما لجرح إذا أرضاكم ألم

وقد يكون الحب، بحيث يترك به بعض الحظوظ دون بعض . كمن تسمح نفسه بأن يشاطر محبوبه فى نصف ماله، أو فى ثلثه، أو فى عشره. فمقادير الأموال موازين المحبة ، إذ لا تعرف درجة المحبوب إلا بمحبوب يترك في مقابلته ، فمن استغرق الحب جميع قلبه لم يبق له محبوب سواه، فلا يمسك لنفسه شيئا مثل أبى بكر الصديق رضي الله عنه فإنه لم يترك لنفسه أهلا ولا مالا، فسلم ابنته التى هى قرة عينه وبذل جميع ماله .

قال ابن عمر رضي الله عنهما : «**بينما رسول الله ﷺ جالس وعنده أبو بكر وعليه عباءة قد خللها على صدره بخلال إذ نزل جبريل عليه السلام فاقرأه عن الله السلام وقال له يا رسول الله ما لى أرى أبا بكر عليه عباءة قد خللها على صدره بخلال فقال أنفق ماله علىّ قبل الفتح قال فاقرأه من الله السلام وقل له يقول لك ربك أراض أنت عنى فى فقرك هذا أم ساخط قال فالتفت النبى ﷺ إلى أبى بكر وقال يا أبا بكر هذا جبريل يقرئك السلام من الله ويقول أراض أنت عنى فى فقرك هذا أم ساخط قال : فبكى أبو**

بكر ﷺ وقال: أعلى ربى أسخط ، أنا عن ربى راض ، أنا عن ربى راض» (١٧٩٥) .

فحصل من هذا أن كل من أحب عالما أو عابدا أحب شخصا راغبا فى علم، أو فى عبادة أو فى خير. فإنما أحبه فى الله. ولله وله فيه من الأجر والثواب بقدر قوة حبه ،فهذا شرح الحب فى الله ودرجاته. وبهذا يتضح البغض فى الله أيضا، ولكن نزيده بيانًا :

بيان البغض فى الله

اعلم أن كل من يحب فى الله، لابد أن يبغض فى الله، فإنك إن أحببت إنسانا لأنه مطيع لله ومحبوب عند الله، فإن عصاه فلابد أن تبغضه، لأنه عاص لله وممقوت عند الله . ومن أحب بسبب، فبالضرورة يبغض لضده . وهذان متلازمان لا ينفصل أحدهما عن الآخر وهو مطرد فى الحب والبغض فى العادات ولكن كل واحد من الحب والبغض داء دفين فى القلب وإنما يترشح عند الغلبة، ويترشح بظهور أفعال المحبين والمبغضين فى المقاربة والمباعدة وفى المخالفة والموافقة، فإذا ظهر فى الفعل سمى موالاة ومعاداة .

ولذلك قال الله تعالى: « هل واليت فىَّ وليا وهل عاديت فىَّ عدوا » كما نقلناه وهذا واضح فى حق من لم يظهر لك إلا طاعاته ، إذ تقدر على أن تحبه أو لم يظهر لك إلا فسقه وفجوره وأخلاقه السيئة ، فتقدر على أن تبغضه ، وإنما المشكل إذا

(١٧٩٥) حديث : قال ابن عمر ﷺ : « بينما النبى ﷺ جالس وعنده أبو بكر وعليه عباءة قد خللها على صدره بخلال فنزل جبريل فأقرأه من ربه السلام وقال له يا رسول الله ما لى أري أبا بكر عليه عباءة قد خللها على صدره بخلال فقال انفق ماله علىّ قبل الفتح قال فاقرأه من الله السلام وقل له يقول لك ربك أراض أنت عنى فى فقرك هذا أم ساخط فالتفت النبى ﷺ إلى أبى بكر ﷺ وقال يا أبا بكر هذا جبريل يقرئك السلام من الله ويقول أراض أنت فى فقرك أم ساخط فبكى أبو بكر وقال أعلى ربى أسخط أنا عن ربى راضٍ أنا عن ربى راضٍ » . **قال العراقى** : رواه ابن حبان والعقيلي فى الضعفاء ، قال الذهبى فى الميزان وهو كذب .اهـ .

اختلطت الطاعات بالمعاصى ، فإنك تقول : كيف أجمع بين البغض والمحبة وهما متناقضان ؟ وكذلك تتناقض ثمرتهما من الموافقة والمخالفة والموالاة والمعاداة ؟

فأقول ذلك غير متناقض فى حق الله تعالى ، كما لا يتناقض فى الحظوظ البشرية، فإنه مهما اجتمع فى شخص واحد خصال يحب بعضها ويكره بعضها ، فإنك تحبه من وجه وتبغضه من وجه ، فمن له زوجة حسناء فاجرة أو ولد ذكى خدوم ، ولكنه فاسق ، فإنه يحبه من وجه ويبغضه من وجه ويكون معه على حالة بين حالتين، إذ لو فرض له ثلاثة أولاد ، أحدهم ذكى بار والآخر بليد عاق والآخر بليد بار أو ذكى عاق ، فإنه يصادف نفسه معهم على ثلاثة أحوال متفاوتة بحسب تفاوت خصالهم ، فكذلك ينبغى أن تكون حالك بالإضافة إلى من غلب عليه الفجور ، ومن غلبت عليه الطاعة ومن اجتمع فيه، كلاهما متفاوتة على ثلاث مراتب وذلك بأن تعطى كل صفة حظها من البغض ، والحب والإعراض والإقبال والصحبة والقطيعة وسائر الأفعال الصادرة منه .

فإن قلت : فكل مسلم فإسلامه طاعة منه فكيف أبغضه مع الإسلام فأقول تحبه لإسلامه وتبغضه لمعصيته وتكون معه على حالة ، لو قستها بحال كافر أو فاجر ، أدركت تفرقة بينهما وتلك التفرقة حب للإسلام وقضاء لحقه وقدر الجناية على حق الله، والطاعة له كالجناية على حقك والطاعة لك .

فمن وافقك على غرض وخالفك فى آخر، فكن معه على حالة متوسطة بين الانقباض والاسترسال ، وبين الإقبال والإعراض وبين التودد إليه والتوحش عنه ولا تبالغ فى إكرامه ، مبالغتك فى إكرام من يوافقك على جميع أغراضك ، ولا تبالغ فى إهانته مبالغتك فى إهانة من خالفك في جميع أغراضك ، ثم ذلك التوسط ، تارة يكون ميله إلى طرف الإهانة عند غلبة الجناية وتارة إلى طرف المجاملة والإكرام ، عند غلبة الموافقة ، فكذا ينبغى أن يكون فيمن يطيع الله تعالى ويعصيه ويتعرض لرضاه مرة ولسخطه أخرى .

فإن قلت : فبماذا يمكن إظهار البغض؟

فأقول : أما فى القول فبكف اللسان عن مكالمته ومحادثته مرة ، وبالاستخفاف والتغليظ فى القول أخرى ، وأما فى الفعل فبقطع السعى فى إعانته مرة وبالسعى فى إساءته وإفساد مآربه أخرى ، وبعض هذا أشد من بعض وهو بحسب درجات الفسق والمعصية الصادرة منه .

أما ما يجرى مجرى الهفوة ، التى يعلم أنه متندم عليها ولا يصر عليها ، فالأولى فيه الستر والإغماض ، أما ما أصر عليه من صغيرة أو كبيرة ، فإن كان ممن تأكدت بينك وبينه مودة وصحبة وأخوة ، فله حكم آخر وسيأتى وفيه خلاف بين العلماء، وأما إذا لم تتأكد أخوة وصحبة، فلابد من إظهار أثر البغض ، إما فى الإعراض والتباعد عنه وقلة الالتفات إليه وإما فى الاستخفاف وتغليظ القول عليه وهذا أشد من الإعراض وهو بحسب غلظ المعصية وخفتها .

وكذلك فى الفعل أيضا رتبتان إحداهما : قطع المعونة والرفق والنصرة عنه وهو أقل الدرجات ، والأخرى السعى فى إفساد أغراضه عليه ، كفعل الأعداء المبغضين ، وهذا لابد منه ، ولكن فيما يفسد عليه طريق المعصية ، أما ما لا يؤثر فيه فلا، مثاله رجل عصى الله بشرب الخمر ، وقد خطب امرأة لو تيسر له نكاحها لكان مغبوطا بها بالمال والجمال والجاه ، إلا أن ذلك لا يؤثر فى صنف من شرب الخمر ولا فى بعث وتحريض عليه ، فإذا قدرت على إعانته ليتم له غرضه ومقصوده وقدرت على تشويشه ليفوته غرضه فليس لك السعى فى تشويشه .

أما الإعانة ، فلو تركتها إظهاراً للغضب عليه فى فسقه ، فلا بأس ، وليس يجب تركها ، إذ ربما يكون لك نية فى أن تتلطف بإعانته وإظهار الشفقة عليه . ليعتقد مودتك ويقبل نصحك ، فهذا حسن وإن لم يظهر لك ولكن رأيت أن تعينه على غرضه قضاء لحق إسلامه، فذلك ليس بممنوع، بل هو الأحسن إن كانت معصيته

بالجناية على حقك أو حق من يتعلق بك وفيه نزل قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ ﴾ (النور: ٢٢). إلى قوله: ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ (النور: ٢٢).

إذ تكلم مسطح بن أثاثة فى واقعة الإفك، فحلف أبو بكر أن يقطع عنه رفقه. وقد كان يواسيه بالمال « فنزلت الآية مع عظم معصية مسطح وأية معصية تزيد على التعرض لحرم رسول الله ﷺ وإطالة اللسان فى مثل عائشة رضي الله عنها »(١٧٩٦) إلا أن الصديق رضي الله عنه كان كالمجنى عليه فى نفسه بتلك الواقعة، والعفو عمن ظلم والإحسان إلى من أساء من أخلاق الصديقين، وإنما يحسن الإحسان إلى من ظلمك، فأما من ظلم غيرك وعصى الله به، فلا يحسن الإحسان إليه، لأن فى الإحسان إلى الظالم إساءة إلى المظلوم وحق المظلوم أولى بالمراعاة وتقوية قلبه بالإعراض عن الظالم، أحب إلى الله من تقوية قلب الظالم.

(١٧٩٦) حديث: « كلام مسطح فى الإفك وهجر أبى بكر له حتى نزلت ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ منكم﴾ الآية ». **قال العراقى**: متفق عليه من حديث عائشة. اهـ.

قال مرتضى: وهذه القصة قد أخرجها عبد الرزاق وأحمد والبخارى وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه والبيهقى فى الشعب كلهم من حديث عائشة وهى طويلة وفيها قالت عائشة فلما أنزل الله فى براءتى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ﴾ العشر آيات قال أبو بكر وكان ينفق على مسطح لقرابته منه وفقره والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا بعد الذى قال لعائشة قال فانزل الله ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ ﴾ إلى قوله: ﴿ رَّحِيمٌ ﴾ قال أبو بكر بلى والله إنى أحب أن يغفر الله لى فرجع إلى النفقة التى كان ينفق عليه وقال والله لا أنزعها منه أبدا وأخرج البخارى والترمذى وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه من حديثها وفيه وكان الذى تكلم فيها مسطح وحسان بن ثابت والمنافق عبد الله بن أبى وهو الذى كان تولى كبره مع حنة بنت جحش قالت فحلف أبو بكر أن لا ينفع مسطحا بنفقة أبدا فأنزل الله: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ ﴾ يعنى أبا بكر أن يؤتوا أولى القربى والمساكين يعني مسطحا إلى قوله: ﴿ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ قال أبو بكر: بلى والله إنا نحب أن يغفر لنا وعاد له بما كان يصنع وأخرج أحمد وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن مردويه من=

فأما إذا كنت أنت المظلوم ، فالأحسن فى حقك العفو والصفح ، وطرق السلف قد اختلفت فى إظهار البغض مع أهل المعاصى وكلهم اتفقوا على إظهار البغض للظلمة والمبتدعة وكل من عصى الله بمعصية متعدية منه إلى غيره .

فأما من عصى الله فى نفسه ، فمنهم من نظر بعين الرحمة إلى العصاة كلهم ، ومنهم من شدد الإنكار واختار المهاجرة .

فقد كان أحمد بن حنبل يهجر الأكابر فى أدنى كلمة حتى هجر يحيى بن معين لقوله : إنى لا أسأل أحدا شيئا، ولو حمل السلطان إلىَّ شيئا لأخذته وهجر الحارث المحاسبى فى تصنيفه فى الرد على المعتزلة وقال : إنك لابد تورد أولا شبهتهم وتحمل الناس على التفكر فيها، ثم ترد عليهم وهجر أبا ثور فى تأويله قوله ﷺ : « **إن الله خلق آدم على صورته** » (١٧٩٧) .

= حديث ابن رومان وفيها وكان فيمن حدث الحديث رجل كان يحدث به أبو بكر فحلف أن لا يصله فأنزل الله ﴿ **وَلاَ يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ** ﴾ .... الآية فوصله أبو بكر وأخرج ابن مردويه من حديث ابن عباس وفيه وكان أبو بكر يعطى مسطحا ويصله ويبره فحلف أبو بكر أن لا يعطيه فنزل ﴿ **وَلاَ يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ** ﴾ .... الآية وعند الطبرانى وابن مردويه من حديث ابن عمر فبعث أبو بكر إلى مسطح لا أوصلنك بدرهم أبدا ولا عطفت عليك بخير أبدا ثم طرده أبو بكر وأخرجه من منزله فنزل القرآن ﴿**وَلاَ يَأْتَلِ**﴾ الآية فقال أبو بكر القرآن يأمرنى فيك لأضاعفهن لك وعند ابن أبى حاتم والطبرانى من حديث سعيد بن جبير وكان مسطح من المهاجرين الأولين وكان ابن خالة أبى بكر وكان يتيما فى حجره فقيرا فلما حلف أبو بكر أن لا يصله نزلت فى أبى بكر ﴿ **وَلاَ يَأْتَلِ** ﴾ الآية فقال النبى ﷺ : أما تحب أن يغفر الله لك قال بلى يا رسول الله قال فاعف واصفح قال أبو بكر قد عفوت وصفحت لا أمنعه معروفا بعد اليوم .

(١٧٩٧) حديث : قوله ﷺ : « إن الله خلق آدم على صورته » . **قال العراقى** : رواه مسلم من حديث أبى هريرة . اهـ.

قال مرتضى : وقد تقدم الكلام عليه فى كتاب قواعد العقائد .

وهذا أمر يختلف باختلاف النية وتختلف النيـة باختلاف الحال، فإن كان الغالب على القلب النظر إلى اضطرار الخلق وعـجزهم ، وأنهم مـسخـرون لما قدروا له أورث هذا تسـاهلا فى المعاداة والبـغض ، وله وجه ، ولكن قـد تلتبس به المـداهنة . فأكـثر البواعث عـلى الإغضاء عن المعـاصى المداهنة ومراعـاة القلوب والخوف من وحـشتـها ونفـارها ، وقد يلـبس الشيطان ذلـك على الغبى الأحـمق بأنه ينظر بـعين الرحمـة ، ومحك ذلك ، أن ينظر إليـه بعين الرحمة إن جنى علـى خاص حقه ويقـول : إنه قد سخر له ، والقدر لا ينفع منه الحذر ، وكيف لا يفـعله وقد كتب عليه ، فمثل هذا قد تصح له نيـة فى الإغمـاض عن الجناية على حق الله وإن كـان يغتـاظ عند الجناية على حقه ويترحم عند الجناية على حق الله، فهـذا مداهن مغرور بمكيدة من مكايد الشيطان فليتنبه له .

فـإن قلت : فأقل الدرجـات فى إظهار البغض الهجـر والإعراض وقطع الرفق والإعانة. فهل يجب ذلك حـتى يعصى العبد بتركـه . فأقول لا يدخل ذلك فى ظاهر العلم تحت التكليف والإيجاب . فإنا نعلم أن الذين شربوا الخمر وتعاطوا الفواحش فى زمان رسول الله ﷺ والصحابة ما كانوا يهجرون بالكلية ، بل كانوا منقسمين فيهم، إلى من يغلظ القـول عليه ويظهر البـغض له ، وإلى من يعرض عنه ولا يتـعرض له ، وإلى من ينظر إليه بعين الرحمة ولايؤثر المقاطعة والتباعـد فهذه دقائق دينية تختلف فيها طرق السالكين لطريق الآخرة ويكون عمل كل واحد على ما يقتضيه حاله ووقته .

ومقـتضى الأحـوال في هذه الأمور ، أمـا مكروهة أو مندوبة ، فتكون فـى رتبة الفضائل ولا تنتهى إلى التحريم والإيجاب ، فإن الداخل تحت التكليف أصل المعرفة لله تعالى وأصل الحب : وذلك قد لا يتعدى من المحبـوب إلى غيره . وإنما المتعدى إفراط الحب واستـيلاؤه وذلك لا يدخل فى الفتوى وتحت ظاهـر التكليف فى حق عوام الخلق أصلا .

بيان مراتب الذين يُبغضون فى الله وكيفية معاملتهم

فإن قلت: إظهار البغض والعداوة بالفعل إن لم يكن واجبا، فلا شك أنه مندوب إليه والعصاة والفساق علي مراتب مختلفة، فكيف ينال الفضل بمعاملتهم ؟ وهل يسلك بجميعهم مسلكا واحدا أم لا ؟

فاعلم: أن المخالف لأمر الله سبحانه لا يخلو إما أن يكون مخالفا فى عقده ، أو فى عمله ، والمخالف فى العقد إما مبتدع أو كافر ، والمبتدع إما داع إلى بدعته أو ساكت ، والساكت ، إما بعجزه أو باختياره . **فأقسام الفساد فى الاعتقاد ثلاثة :**

الأول : الكفر فالكافر إن كان محاربا فهو يستحق القتل والإرقاق ، وليس بعد هذين إهانة ، وأما الذمى فإنه لا يجوز إيذاؤه إلا بالإعراض عنه ، والتحقير له بالاضطرار إلى أضيق الطرق «**وبترك المفاتحة بالسلام فإذا قال : السلام عليك قلت : وعليك**»(١٧٩٨) .

والأولى الكف عن مخالطته ومعاملته ومواكلته . وأما الانبساط معه والاسترسال إليه، كما يسترسل إلى الأصدقاء ، فهو مكروه كراهة شديدة يكاد ينتهى ما يقوى منها إلى حد التحريم . قال الله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ﴾ (المجادلة : ٢٢) الآية .

وقال ﷺ : « **المسلم والمشرك لا تتراءى نارهما** » (١٧٩٩) .

(١٧٩٨) حديث : « ترك المفاتحة بالسلام وإذا قال السلام عليك قلت وعليك » وإنما وجب الرد عليه بعليك فقط ولا تعارضه آية ﴿سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ وآية ﴿وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ لأن هنا سلام متاركة ومنابذة لا سلام تحية وأمان وقد وردت فى كل منهما أخبار .

قال مرتضى : أغفله العراقى وأخرج أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى من حديث أبى هريرة لا تبدءوا اليهود ولا النصارى بالسلام وإذا لقيتم أحدهم فى طريق فاضطروه إلى ضيّقه.

(١٧٩٩) حديث :قال ﷺ : « المؤمن والمشرك لا تتراءى ناراهما » **قال العراقى :** رواه أبو داود=

وقال عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ (الممتحنة: ١) الآية.

الثانى: المبتدع الذى يدعو إلى بدعته، فإن كانت البدعة بحيث يكفر بها، فأمره أشد من الذمى لأنه لا يقر بجزية ولايسامح بعقد ذمة، وإن كان مما لا يكفر به، فأمره بينه وبين الله أخف من أمر الكافر لا محالة، ولكن الأمر فى الإنكار عليه أشد منه على الكافر، لأن شر الكافر غير متعد، فإن المسلمين اعتقدوا كفره، فلا يلتفتون إلى قوله إذ لا يدعى لنفسه الإسلام واعتقاد الحق.

أما المبتدع الذى يدعو إلي البدعة، ويزعم أن ما يدعو إليه حق، فهو سبب لغواية الخلق، فشره متعد، فالاستحباب فى إظهار بغضه ومعاداته والانقطاع عنه وتحقيره والتشنيع عليه ببدعته وتنفير الناس عنه أشد، وإن سلم فى خلوة فلا بأس برد جوابه، وإن علمت أن الإعراض عنه والسكوت عن جوابه، يقبح فى نفسه بدعته ويؤثر فى زجره، فترك الجواب أولى لأن جواب السلام وإن كان واجبا فيسقط بأدنى غرض فيه مصلحة حتى يسقط بكون الإنسان فى الحمام أو فى قضاء حاجته، وغرض الزجر أهم من هذه الأغراض.

وإن كان فى ملأ فترك الجواب أولى تنفيرا للناس عنه وتقبيحا لبدعته فى أعينهم وكذلك الأولى، كف الإحسان إليه والإعانة له، لا سيما فيما يظهر للخلق قال عليه السلام: « **من انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا ومن أهان صاحب بدعة آمنه الله يوم الفزع الأكبر ومن آلان له وأكرمه أو لقيه ببشر فقد استخف بما أنزل الله علي محمد** ﷺ » (١٨٠٠).

= والترمذى من حديث جرير أنا برئ من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين قالوا يا رسول الله ولم قال لا تتراءى ناراهما ورواه النسائى مرسلاً وقال البخارى: الصحيح أنه مرسل. اهـ.

(١٨٠٠) حديث: قال ﷺ: « من انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا ومن أهان صاحب بدعة أمنه الله يوم الفزع الأكبر ومن ألان له أو أكرمه أو لقيه ببشر فقد استخف بما أنزل على محمد ﷺ » وفى نسخة بما أنزل الله على محمد ﷺ **قال العراقى:** رواه أبو نعيم فى الحلية والهروى فى ذم الكلام من حديث ابن عمر بسند ضعيف. اهـ. =

الثالث : المبتدع العامى الذى لا يقدر على الدعوة ولا يخاف الاقتداء به، فأمره أهون، فالأولى أن لا يقابح بالتغليظ والإهانة، بل يتلطف به فى النصح ، فإن قلوب العوام سريعة التقلب ، فإن لم ينفع النصح وكان فى الإعراض عنه تقبيح لبدعته فى عينه تأكد الاستحباب فى الإعراض ، وإن علم أن ذلك لا يؤثر فيه لجمود طبعه ورسوخ عقده فى قلبه ، فالإعراض أولى لأن البدعة إذا لم يبالغ فى تقبيحها شاعت بين الخلق وعم فسادها . وأما العاصى بفعله وعمله لا باعتقاده ، فلا يخلو : إما أن يكون بحيث يتأذى به غيره كالظلم والغصب وشهادة الزور والغيبة والتضريب بين الناس والمشى بالنميمة وأمثالها، أو كان مما لا يقتصر عليه ويؤذى غيره .

وذلك ينقسم إلى ما يدعو غيره إلى الفساد، كصاحب الماخور الذى يجمع بين الرجال النساء ، ويهيئ أسباب الشرب والفساد لأهل الفساد أو لا يدعو غيره إلى فعله كالذى يشرب ويزنى ، وهذا الذى لا يدعو غيره ، إما أن يكون عصيانه بكبيرة أو بصغيرة ، وكل واحد فإما أن يكون مصرا عليه أو غير مصر ، فهذه التقسيمات يتحصل منها ثلاثة أقسام ولكل قسم منها رتبة وبعضها أشد من بعض ولا نسلك بالكل مسلكا واحدا .

القسم الأول : وهو أشدها ما يتضرر به الناس ، كالظلم والغصب وشهادة الزور والغيبة والنميمة ، فهؤلاء الأولى الإعراض عنهم ، وترك مخالطتهم والانقباض عن معاملتهم ،لأن المعصية شديدة فيما يرجع إلى إيذاء الخلق ، ثم هؤلاء ينقسمون إلى من يظلم فى الدماء ، وإلى من يظلم فى الأموال ، وإلى من يظلم فى الأعراض . وبعضها أشد من بعض فالاستحباب فى إهانتهم والإعراض عنهم مؤكد جدا ، ومهما كان يتوقع من الإهانة زجرا لهم أو لغيرهم كان الأمر فيه آكد وأشد .

= **قال مرتضى :** ورواه أبو نصر السجزى فى الإبانة من حديث ابن عمر وابن عباس مرفوعا من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام ورواه أبو نصر أيضا وابن عدى وابن عساكر من حديث عائشة مرفوعا ورواه ابن عدى أيضا من حديث ابن عباس مرفوعا .

الثانى : صاحب المأخور الذى يهيئ أسباب الفساد ويسهل طرقه على الخلق. فهذا لايؤذى الخلق فى دنياهم ، ولكن يختلس بفعله دينهم وإن كان على وفق رضاهم فهو قريب من الأول ولكنه أخف منه ، فإن المعصية بين العبد وبين الله تعالى إلى العفو أقرب ، ولكن من حيث إنه متعد على الجملة إلى غيره فهو شديد ، وهذا أيضا يقتضى الإهانة والإعراض والمقاطعة وترك جواب السلام إذا ظن أن فيه نوعا من الزجر له أو لغيره.

الثالث : الذى يفسق فى نفسه بشرب خمر، أو ترك واجب أو مقارفة محظور يخصه ، فالأمر فيه أخف . ولكنه فى وقت مباشرته إن صودف يجب منعه ، بما يمتنع به منه ولو بالضرب والاستخفاف. فإن النهى عن المنكر واجب، وإذا فرغ منه وعلم أن ذلك من عادته وهو مصر عليه فإن تحقق أن نصحه يمنعه عن العود إليه وجب النصح وإن لم يتحقق ولكنه كان يرجو فالأفضل النصح والزجر بالتلطف أو بالتغليظ إن كان هو الأنفع .

فإما الإعراض عن جواب سلامه والكف عن مخالطته ، حيث يعلم أنه يصر وإن النصح ليس ينفعه ، فهذا فيه نظر وسير العلماء فيه مختلفة . والصحيح أن ذلك يختلف باختلاف نية الرجل . فعند هذا يقال : « **الأعمال بالنيات** » إذ فى الرفق والنظر بعين الرحمة إلى الخلق نوع من التواضع وفى العنف والإعراض نوع من الزجر والمستفتى فيه القلب ، فما يراه أميل إلى هواه ومقتضى طبعه . فالأولى ضده إذ قد يكون استخفافه وعنفه عن كبر وعجب والتلذاذ بإظهار العلو والإدلال بالصلاح . وقد يكون رفقه عن مداهنة واستمالة قلب للوصول به إلى غرض أو لخوف من تأثير وحشته ونفرته فى جاه ، أو مال بظن قريب أو بعيد . وكل ذلك مردد على إشارات الشيطان، وبعيد عن أعمال أهل الآخرة . فكل راغب في أعمال الدين مجتهد مع نفسه فى التفتيش عن هذه الدقائق ومراقبة هذه الأحوال ، والقلب هو المفتى فيه .

وقد يصيب الحق فى اجتهاده وقد يخطئ ، وقد يقدم على اتباع هواه ، وهو عالم به وقد يقدم هو بحكم الغرور ظانًا أنه عامل لله وسالك طريق الآخرة . وسيأتى بيان هذه الدقائق فى كتاب الغرور من ربع المهلكات . ويدل على تخفيف الأمر فى الفسق القاصر الذى هو بين العبد وبين الله ما روى : « **أن شارب خمر ضرب بين يدى رسول الله ﷺ مرات وهو يعود فقال واحد من الصحابة لعنه الله ما أكثر ما يشرب فقال ﷺ : لا تكن عونا للشيطان على أخيك** »(١٨٠١) . أو لفظا هذا معناه . وكان هذا إشارة إلى أن الرفق أولى من العنف والتغليظ .

بيان الصفات المشروطة فيمن تختار صحبته

اعلم أنه لا يصلح للصحبة كل إنسان قال ﷺ : « **المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل** » (١٨٠٢) ولابد أن يتميز بخصال وصفات يرغب بسببها فى صحبته . وتشترط تلك الخصال بحسب الفوائد المطلوبة من الصحبة ، إذ معنى الشرط ما لابد

(١٨٠١) حديث : « إن شارب خمر ضرب » مرات « بين يدى النبى ﷺ وهو يعود فقال واحد من الصحابة : لعنه الله ما أكثر ما يشرب ، فقال رسول الله ﷺ : لا تكن عونا للشيطان على أخيك » **قال العراقى :** رواه البخارى من حديث أبى هريرة . اهـ.

قال مرتضى : لفظه لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم رواه من طريق محمد بن إبراهيم التيمى عن أبى سلمة عن أبى هريرة وأخرج أبو محمد الحارثى فى مسنده من طريق حمزة بن حبيب الزيات والحسن بن الفرات وأبى يوسف وسعيد بن أبى الجهم ومحمد بن ميسر الصغانى كلهم عن أبى حنيفة عن يحيى بن عبد الله الجابر عن أبى واحد الحنفى عن ابن مسعود قال : إن أول حد أقيم فى الإسلام لسارق أتى به النبى ﷺ فلما قامت عليه البينة قال انطلقوا به فاقطعوه فلما انطلق به ليقطع نظر إلى وجه النبى ﷺ كأنما أسيف عليه الرماد فقال بعض جلسائه والله يا رسول الله لكان ماذا قد اشتد عليك قال وما يمنعنى أن لا يشتد علي أن تكونوا أعوان الشياطين على أخيكم الحديث وسيأتى فى ذكر حقوق المسلم مفصلا .

(١٨٠٢) حديث : قال ﷺ : « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل » . **قال العراقى :** رواه أبو داود والترمذى وحسنه والحاكم من حديث أبى هريرة وقال صحيح إن شاء الله . اهـ.

=

منه للوصول إلى المقصود . فبالإضافة إلى المقصود تظهر الشروط ويطلب من الصحبة فوائد دينية ودنيوية . أما الدنيوية فكالانتفاع بالمال أو الجاه أو مجرد الاستئناس بالمشاهدة والمجاورة وليس ذلك من أغراضنا .

وأما الدينية، فيجتمع فيها أيضا أعراض مختلفة . إذ منها الاستفادة من العلم والعمل ومنها الاستفادة من الجاه تحصنا به عن إيذاء من يشوش القلب ويصد عن العبادة ، ومنها استفادة المال للاكتفاء به عن تضييع الأوقات فى طلب القوت ، ومنها الاستعانة في المهمات ، فيكون عدة فى المصائب وقوة فى الأحوال ومنها التبرك بمجرد الدعاء ومنها انتظار الشفاعة في الآخرة ، فقد قال بعض السلف: « **استكثروا من الإخوان فإن لكل مؤمن شفاعة فلعلك تدخل فى شفاعة أخيك**» (١٨٠٣) .

وروى « في غريب التفسير في قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ (الشورى : ٢٦)

قال : يشفعهم فى إخوانهم فيدخلهم الجنة معهم » (١٨٠٤) .

= **قال مرتضى** : وكذلك رواه الطيالسي والبيهقي والقضاعي من طريقه والعسكرى كلهم من طريق موسى بن وردان عن أبي هريرة وتوسع ابن الجوزي فأورده فى الموضوعات ورواه العسكرى من طريق سليمان بن عمرو النخعي عن اسحق بن عبد الله بن أبى طلحة عن أنس مرفوعا ولفظه المرء على دين خليله ولا خير لك في صحبة من لا يرى لك من الخير مثل الذى ترى ورواه ابن عدى فى كامله وسنده ضعيف وهو فى الشعب للبيهقى بلفظ من يخال بلام واحدة مشددة .

(١٨٠٣) حديث : « استكثر من الإخوان فإن لكل مؤمن » عند الله « شفاعة فلعلك تدخل فى شفاعة أخيك » نقله صاحب القوت .

قال مرتضى : أغفله العراقى وقد روى ذلك مرفوعا أخرج ابن النجار فى تاريخه من حديث أنس بسند ضعيف مرفوعا استكثروا من الإخوان فإن لكل مؤمن شفاعة .

(١٨٠٤) حديث : عن رسول الله ﷺ حديثًا غريبا « فى تفسير قوله تعالى يعنى فى الشورى: ﴿ويَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ قال : يشفعهم فى إخوانهم فيدخلهم الجنة معهم » وأما صاحب القوت فقال ورويتا فساقه. =

ويقال : إذا غفر الله للعبد شفع في إخوانه ولذلك حث جماعة من السلف على الصحبة والألفة والمخالطة، وكرهوا العزلة والانفراد . فهذه فوائد تستدعى كل فائدة شروطا لا تحصل إلا بها. ونحن نفصلها ؛ أما على الجملة ، فينبغى أن يكون فيمن تؤثر صحبته خمس خصال: أن يكون عاقلا، حسن الخلق، غير فاسق ، ولا مبتدع ، ولا حريص على الدنيا . « **أما العقل فهو رأس المال وهو الأصل**»(١٨٠٥) فلا خير فى صحبة الأحمق فإلى الوحشة والقطيعة ترجع عاقبتهما وإن طالت .

قال على رضي الله عنه :

فلا تصحب أخا الجهل ... وإياك وإياه
فكم من جاهل أردى ... حليما حين آخاه
يقاس المرء بالمرء ... إذ ما المرء ما شاه
وللشىء من الشىء ... مقاييس وأشباه
وللقلب على القلب ... دليل حين يلقاه

كيف والأحمق قد يضرك وهو يريد نفعك وإعانتك من حيث لا يدرى ولذلك قال الشاعر :

أنى لآمن من عدو عاقل ... وأخاف خلاً يعتريه جنون
فالعقل فن واحد وطريقه ... أدرى فارصد والجنون فنون

= **قال مرتضى** : أخرجه ابن جرير من طريق قتادة عن إبراهيم النخعي في قوله ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ قال يشفعون في إخوان إخوانهم ، وأما فى قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ هكذا فى النسخ وهذه الآية فى سورة النساء وأخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى وابن مردويه وأبو نعيم فى الحلية والإسماعيلى فى معجمه بسند ضعيف عن ابن مسعود رفعه قال : أجورهم : يدخلهم الجنة، ويزيدهم من فضله: الشفاعة فيمن وجبت له النار ممن صنع إليهم المعروف فى الدنيا .

(١٨٠٥) حديث : « العقل رأس المال وهو الأصل وبتمامه تمام الدين » .

قال مرتضى : أغفله العراقى وقد روى البيهقى من حديث أنس : وما تم دين إنسان قط حتى يتم عقله .

ولذلك قيل : مقاطعة الأحمق قربان إلى الله . وقال الثورى : النظر إلى وجه الأحمق خطيئة مكتوبة ونعنى بالعاقل: الذى يفهم الأمور على ما هى عليه . إما بنفسه، وإما إذا فهم .

وأما حسن الخلق فلابد منه ، إذ رب عاقل يدرك الأشياء على ما هى عليه ولكن إذا غلبه غضب أو شهوة أو بخل أو جبن ، أطاع هواه وخالف ما هو المعلوم عنده لعجزه عن قهر صفاته وتقويم أخلاقه ، فلا خير فى صحبته .

وأما الفاسق المصر على الفسق، فلا فائدة فى صحبته ، لأن من يخاف الله لا يصر على كبيرة ؛ ومن لا يخاف الله لا تؤمن غائلته ولا يوثق بصداقته ، بل يتغير بتغير الأغراض وقال تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾ (الكهف: ٢٨).

وقال تعالى: ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾ (طه: ١٦).

وقال تعالى : ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ (النجم: ٢٩) .

وقال : ﴿ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ (لقمان: ١٥) .

وفى مفهوم ذلك ، زجر عن الفاسق .

وأما المبتدع ففى صحبته خطر سراية البدعة وتعدى شؤمها إليه ، فالمبتدع مستحق للهجر والمقاطعة . فكيف تؤثر صحبته؟ وقد قال عمر رضي الله عنه : فى الحث على طلب التدين فى الصديق فيما رواه سعيد بن المسيب قال: « **عليك بإخوان الصدق تعش فى أكنافهم فإنهم زينة فى الرخاء وعدة فى البلاء وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك ما يغلبك منه واعتزل عدوك واحذر صديقك إلا الأمين من القوم ولا أمين إلا من خشى الله فلا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر فى أمرك الذى يخشون الله تعالى** » (١٨٠٦) .

(١٨٠٦) حديث : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيما رواه سعيد بن المسيب : « عليك بإخوان الصدق=

وأما حسن الخلق ، فقد جمعه علقمة العطاردى فى وصيته لابنه حين حضرته الوفاة قال : يا بنى إذا عرضت لك إلى صحبة الرجال حاجة، فاصحب من إذا خدمته صانك وإن صحبته زانك وإن قعدت بك مؤنة مانك اصحب من إذا مددت يدك بخير مدها وإن رأى منك حسنة عدها وإن رأى سيئة سدها اصحب من إذا سألته أعطاك وإن سكت ابتداك وإن نزلت بك نازلة واساك اصحب من إذا قلت صدق قولك ، وإن حاولتما أمرا أمرك وإن تنازعتما آثرك ، فكأنه جمع بهذا جميع حقوق الصحبة وشرط أن يكون قائما بجميعها ، قال ابن أكثم : قال المأمون : فأين هذا ؟ فقيل له أتدرى لم أوصاه بذلك ؟ قال : لا ، قال : لأنه أراد أن لا يصحب أحدا .

وقال بعض الأدباء : لا تصحب من الناس إلا من يكتم سرك ويستر عيبك فيكون معك فى النوائب ويؤثرك بالرغائب وينشر حسنتك ويطوى سيئتك فإن لم تجده فلا تصحب إلا نفسك .

وقال على ﵁ : إن أخاك الحق من كان معك ، ومن يضر نفسه لينفعك ومن إذا ريب الزمان صدعك ، شتت فيه شمله ليجمعك . وقال بعض العلماء : لا تصحب إلا أحد رجلين رجل تتعلم منه شيئا فى أمر دينك فينفعك أو رجل تعلمه شيئا فى أمر دينك فيقبل منك والثالث فاهرب منه .

= تعش فى أكنافهم فإنهم زينة فى الرخاء وعدة فى البلاء وضع أمر أخيك علي أحسنه حتى يجيئك ما يغلبك منه واعتزل عدوك واحذر صديقك إلا الأمين ولا أمين إلاّ من يخشى الله ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر فى أمرك الذين يخشون الله تعالى » ولفظ القوت وفى وصية عمر بن الخطاب ﵁ التي رويناها عن يحيى بن سعيد الأنصارى عن سعيد بن المسيب قال : قال عمر ﵁ فساقه .

قال مرتضى : أغفله العراقى وسعيد بن المسيب لم يدرك عمر باتفاق المحدثين إلا أنه كان راوية أخباره لكثرة تتبعه لها . وقال أبو نعيم فى الحلية حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا محمد بن أبى سهيل حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا عبد الله بن إدريس عن محمد بن عجلان عن إبراهيم بن مرة عن محمد بن شهاب قال : قال عمر بن الخطاب ﵁ لا تعترض فيما لا يعنيك واعتزل عدوك واحتفظ من خليك إلا الأمين فإن الأمين من القوم لا يعادل ولا تصحب الفاجر فيعلمك من فجوره ولا تفش إليه سرك واستشر فى أمرك الذين يخشون الله عز وجل .

وقال بعضهم : الناس أربعة فواحد حلو كله فلا يشبع منه وآخر مر كله فلا يؤكل منه وآخر فيه حموضة، فخذ من هذا قبل أن يأخذ منك وآخر فيه ملوحة فخذ منه وقت الحاجة فقط .

وقال جعفر الصادق رضي الله عنه : « **لا تصحب خمسة: الكذاب ، فإنك منه على غرور وهو مثل السراب يقرب منك البعيد ويبعد منك القريب ، والأحمق ، فإنك لست منه على شيء يريد أن ينفعك فيضرك ، والبخيل فإنه يقطع بك أحوج ما تكون إليه والجبان فإنه يسلمك ويفر عند الشدة والفاسق ، فإنه يبيعك بأكلة أو أقل منها فقيل وما أقل منها قال الطمع فيها ثم لا ينالها** » (١٨٠٧) .

وقال الجنيد : لأن يصحبنى فاسق حسن الخلق أحب إلىَّ من أن يصحبنى قارئ سيئ الخلق . وقال ابن أبى الحوارى : قال لى أستاذى أبو سليمان : يا أحمد لا تصحب إلا أحد رجلين ، رجلا ترتفق به فى أمر دنياك أو رجلا تزيد معه وتنتفع به فى

(١٨٠٧) حديث : قال جعفر الصادق : « لا تصحب خمسة: **الكذاب** : فإنك منه على غرور ، وهو مثل السراب يقرب منك البعيد ويبعد منك القريب ، **والأحمق** : فإنك لست منه على شيء ، يريد أن ينفعك فيضرك ، **والبخيل** : فإنه يقطع بك أحوج ما تكون إليه ، **والجبان**: فإنه يسلمك ويفر عند الشدة ، **والفاسق** : فإنه يبيعك بأكلة أو أقل منها ، فقيل: وما أقل منها ؟ فقيل : الطمع فيها ثم لا ينالها» .

قال مرتضى : أغفله العراقى وقال أبو نعيم فى الحلية حدثنا محمد بن على بن حبيش حدثنا أحمد بن يوسف بن الضحاك حدثنا محمد بن يزيد حدثنا محمد بن عبد الله القرشى حدثنا محمد بن عبد الله الزبيدى عن أبى حمزة الثمالى حدثنى أبو جعفر محمد بن على قال : أوصانى أبى فقال : لا تصحبن خمسا ولا تحادثهم ولا ترافقهم فى الطريق قال : قلت جعلت فداك يا أبت من هؤلاء الخمسة ؟ قال : لا تصحبن **فاسقا** فإنه يبيعك بأكلة فما دونها ، قال قلت : يا أبت فما دونها ؟ قال : يطمع فيها ثم لا ينالها ، قال : قلت : يا أبت **ومن الثانى ؟** قال: لا تصحبن **البخيل** فإنه يقطع بك فى ماله أحوج ما كنت إليه ، قال: قلت : يا أبت **ومن الثالث ؟** قال : لا تصحبن كذابا فإنه بمنزلة السراب يبعد منك القريب ويقرب منك البعيد ، قال : قلت : يا أبت **ومن الرابع ؟** قال : لا تصحبن **أحمق** فإنه يريد أن ينفعك فيضرك ، قال : قلت : يا أبت **ومن الخامس ؟** قال : لا تصحبن **قاطع رحم** فإنى وجدته ملعونا فى كتاب الله تعالى فى ثلاثة مواضع .

أمر آخرتك ، والاشتغال بغير هذين حمق كبير . وقال سهل بن عبد الله : اجتنب صحبة ثلاثة من أصناف الناس الجبابرة الغافلين والقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين .

واعلم أن هذه الكلمات أكثرها غير محيط بجميع أغراض الصحبة ، والمحيط ما ذكرناه من ملاحظة المقاصد ومراعاة الشروط بالإضافة إليها ، فليس ما يشترط للصحبة في مقاصد الدنيا مشروطا للصحبة فى الآخرة . والأخوة كما قاله بشر : الإخوان ثلاثة : أخ لآخرتك وأخ لدنياك وأخ لتأنس به . وقلما تجتمع هذه المقاصد فى واحد بل تتفرق على جمع فتتفرق الشروط فيهم لا محالة .

وقد قال المأمون الإخوان ثلاثة : أحدهم مثله مثل الغذاء لا يستغني عنه والآخر مثله مثل الدواء يحتاج إليه فى وقت دون وقت والثالث مثله مثل الداء لا يحتاج إليه قط . ولكن العبد قد يبتلى به وهو الذى لا أنس فيه ولا نفع ، وقد قيل : مثل جملة الناس كمثل الشجر والنبات . فمنها ما له ظل وليس له ثمر وهو مثل الذى ينتفع به فى الدنيا دون الآخرة فإن نفع الدنيا كالظل السريع الزوال ، ومنها ما له ثمر وليس له ظل وهو مثل الذى يصلح للآخرة دون الدنيا ، ومنها ما له ثمر وظل جميعا ، ومنها ما ليس له واحد منهما كأم غيلان تمزق الثياب ولا طعم فيها ولا شراب ومثله من الحيوانات الفأرة والعقرب كما قال تعالى : ﴿يَدْعُوا لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾ (الحج : ١٣) .

وقال الشاعر :

الناس شتى إذا ما أنت ذقتهم	لا يستوون كما لا يستوى الشجر
هذا له ثمر حلو مذاقته	وذاك ليس له طعم ولا ثمر

فإذا من لم يجد رفيقا يؤاخيه ويستفيد به أحد هذه المقاصد ، فالوحدة أولى به ، قال أبو ذر رضي الله عنه : « **الوحدة خير من الجليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة**»(١٨٠٨) .

ويروى مرفوعا .

وأما الديانة وعدم الفسق فقد قال الله تعالى : ﴿ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ (لقمان : ١٥) . ولأن مشاهدة الفسق والفساق تهوّن أمر المعصية على القلب وتبطل نفرة القلب عنها . وقال سعيد ابن المسيب : لا تنظروا إلى الظلمة فتحبط أعمالكم الصالحة بل هؤلاء لا سلامة فى مخالطتهم وإنما السلامة فى الانقطاع عنهم . قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ (الفرقان : ٦٣) أى سلامة ، والألف بدل من الهاء ، ومعناه : أنا سلمنا من إثمكم وأنتم سلمتم من شرنا .

فهذا ما أردنا أن نذكره من معانى الأخوة وشروطها وفوائدها ، فلنرجع فى ذكر حقوقها ولوازمها وطرق القيام بحقها .

وأما الحريص على الدنيا ، فصحبته سم قاتل لأن الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدرى صاحبه ، فمجالسة الحريص على الدنيا تحرك الحرص ومجالسة الزاهد تزهد فى الدنيا فلذلك « **تكره صحبة طلاب الدنيا ويستحب صحبة الراغبين فى الآخرة**» (١٨٠٩) .

(١٨٠٨) حديث : قال أبو ذر رضي الله عنه : « الوحدة خير من الجليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة » هكذا هو فى القوت موقوفا على أبى ذر .

قال مرتضى : أغفله العراقى وقال الحافظ ابن حجر وهو المحفوظ ويروى مرفوعا إلى رسول الله ﷺ أخرجه الحاكم فى المناقب والبيهقى وأبو الشيخ والعسكرى فى الأمثال من طريق صدقة بن أبى عمران عن أبى ذر قال : قال رسول الله ﷺ : « الوحدة خير من جليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة وإملاء الخير خير من السكوت والسكوت خير من إملاء الشر » قال الذهبى لم يصح ولا صححه الحاكم وقال الحافظ ابن حجر سنده حسن وقد أغفله العراقى فلم يورده وصدقة ابن أبى عمران قاضى الأهواز كوفى صدوق روى له البخاري تعليقا ومسلم وابن ماجه .

(١٨٠٩) حديث : « تكره صحبة طلاب الدنيا وتستحب صحبة الراغبين فى الآخرة » . =

قال على عليه السلام : **أحيوا الطاعات بمجالسة من يستحيا منه** .

وقال أحمد بن حنبل رحمه الله : ما أوقعنى فى بلية إلا صحبة من لا أحتشمه .

« وقال لقمان : يا بنى جالس العلـماء وزاحمهم بركبتيك فإن القلوب لتحـيا بالحكمة كما تحيا الأرض الميتة بوابل القطر » (١٨١٠) .



= **قال مرتضى : أغفله العراقى** وقد روى الطبرانى فى الكبير والخرائطى فى مكارم الأخلاق والعسكرى فى الأمثال من حـديث أبى جحيفة : جالسوا العلمـاء وسائلوا الكبراء وخالطوا الحكماء رواه من طريق أبي مـالك النخعى عن سلمة بن كهيـل عن أبي جحيفة به مـرفوعا ورواه العسكرى أيضا من طريق اسحق بن الربيع العصفرى حدثنا أبو مالك نحوه ومن طريق مسعر عن أبى جحـيفة قال كان يقال جالس الكبراء وخالط العلمـاء وخالل الحكماء موقوف وفى حديث ابن عبـاس قيل يا رسول الله من نجالس ؟ قـال من ذكركم الله رؤيته وزاد فى عملكم منطقه وذكركم الآخرة عمله رواه العسكرى فى الأمثال.

(١٨١٠) حديث : « قال لقـمان لابنه : يا بنى جالس العلماء وزاحـمهم بركبتيك فـإن القلوب تحيا بالحكمة كما تحيا الأرض الميتة بوابل المطر » .

قال مـرتضى : أغفله الـعراقى ورواه مالك فى الموطأ وقـد تقدم فى كـتاب العلم وروى الديلمى من حديث أنس جالس العلماء تعرف فى السماء ووقر كبير المسلمين تجاور فى الجنة ومن حديث ابن عباس مجالسة العلماء عبادة .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

* * *

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الباب الثانى

فى حقوق الأخوة والصحبة

اعلم أن عقد الأخوة رابطة بين الشخصين، كعقد النكاح بين الزوجين ، وكما يقتضى النكاح حقوقا ، يجب الوفاء بها قياما بحق النكاح ، كما سبق ذكره فى كتاب آداب النكاح ، فكذا عقد الأخوة ، فلأخيك عليك حق فى المال والنفس ، وفى اللسان والقلب بالعفو والدعاء وبالإخلاص والوفاء وبالتخفيف وترك التكلف والتكليف وذلك يجمعه **ثمانية حقوق :**

الحق الأول : فى المال قال رسول الله ﷺ : **« مثل الأخوين مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى »** (١٨١١) .

وإنما شبههما باليدين لا باليد والرجل ، لأنهما يتعاونان على غرض واحد ، فكذا الأخوان إنما تتم أخوتهما إذا ترافقا فى مقصد واحد ، فهما من وجه ، كالشخص الواحد وهذا يقتضى المساهمة فى السراء والضراء والمشاركة فى المآل والحال ، وارتفاع الاختصاص والاستئثار والمواساة بالمال مع الإخوة على **ثلاث مراتب :**

أدناها : أن تنزله منزلة عبدك أو خادمك ، فتقوم بحاجاته من فضلة مالك ، فإذا سنحت له حاجة وكانت عندك فضلة عن حاجتك ، أعطيته ابتداء ولم تحوجه إلى السؤال ، فإن أحوجته إلى السؤال ، فهو غاية التقصير فى حق الأخوة .

(١٨١١) حديث: قال ﷺ : « مثل الأخوين مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى » **قال العراقى :** تقدم فى الباب قبله حديث رقم ١٧٦٨ ص ١٥٩٧ .

قال مرتضى : ورواه أبو نعيم فى الحلية من حديث سلمان بلفظ مثل المؤمن وأخيه كمثل الكفين تنقى إحداهما الأخرى وهو فى أول الحزبيات من قول سلمان موقوف عليه .

الثانـية : أن تنزله منزلة نفسك وترضى بمشاركته إياك فى مالك ونزوله منزلتك ، حتى تسمح بمشاطرته فى المال ، قال الحسن: كان أحدهم يشق إزاره بينه وبين أخيه .

الثالثة : وهى العليا : أن تؤثره علىٰ نفسك وتقدم حاجته على حاجتك ، وهذه رتبة الصديقين ومنتهى درجات المتحـابين ، ومن ثمار هذه الرتبة الإيثار بالنفس أيضا . كما روى أنه سُعِيَ بجماعة من الصوفية إلى بعض الخلفاء ، فأمر بضرب رقابهم وفيهم أبو الحسين النورى فبادر إلى السياف ليكون هو أول مـقتول ، فقيل له فى ذلك فقال : أحبـبت أن أوثر إخواني بالحيـاة فى هذه اللحظة ، فكان ذلك سبب نجـاة جميـعهم فى حكاية طويلة . فإن لم تصـادف نفسك في رتبة من هذه الرتب مع أخـيك ، فاعلم أن عقد الأخوة لم ينعـقد بعد فى الباطن ، وإنما الجارى بينكما مخـالطة رسمية ، لا وقع لها فى العقل والدين .

فقـد قال ميمـون بن مهران : من رضى من الإخـوان بترك الأفضـال فليواخ أهل القبور .

وأما الدرجة الدنيا فليست أيضا مرضية عند ذوى الدين .

روى أن عتبة الغلام جاء إلى منزل رجل كان قد آخاه فقال : أحتاج من مالك إلى أربعة آلاف فقال : خـذ ألفين فاعرض عنه وقال آثرت الدنيا على الله ، أما اسـتحييت أن تدعى الأخوة فى الله وتقول هذا . ومن كان فى الدرجة الدنيا من الأخوة ينبغى أن لا تعامله فى الدنيا . قال أبو حازم : إذا كان لك أخ فى الله فلا تعامله فى أمور دنياك وإنما أراد به من كان فى هذه الرتبة .

وأما الرتبة العليا . فهى التى وصف الله تعالى المؤمنين بها فى قوله: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (الشورى : ٣٨) ، أى كانوا خلطاء فى الأموال لا يميز بعضهم رحله عن بعض وكان منهم من لا يصحب من قال نعلى لأنه أضافه إلى نفسه .

وجاء فتح الموصلى إلى منزل لأخ له وكان غائبا فأمر أهله ، فأخرجت صندوقه ففتحه وأخذ حاجته فأخبرت الجارية مولاها فقال : إن صدقت فأنت حرة لوجه الله سرورا بما فعل .

وجاء رجل إلى أبى هريرة رضي الله عنه وقال : إني أريد أن أواخيك في الله فقال : أتدرى ما حق الإخاء قال : عرفنى قال: أن لا تكون أحق بدينارك ، ودرهمك منى. قال لم أبلغ هذه المنزلة بعد قال فاذهب عنى .

وقال على بن الحسين رضي الله عنهما لرجل : هل يدخل أحدكم يده فى كم أخيه أو كيسه فيأخذ منه ما يريد بغير إذنه ؟ قال: لا ، قال : فلستم بإخوان . ودخل قوم على الحسن رضي الله عنه فقالوا : يا أبا سعيد أصليت ؟ قال: نعم ، قالوا : فإن أهل السوق لم يصلوا بعد ، قال: ومن يأخذ دينه من أهل السوق ، بلغنى أن أحدهم يمنع أخاه الدرهم ، قاله كالمتعجب منه.

وجاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم رحمه الله وهو يريد بيت المقدس فقال إنى أريد أن أرافقك فقال له إبراهيم : على أن أكون أملك لشيئك منك قال : لا ، قال : أعجبنى صدقك قال : فكان إبراهيم بن أدهم رحمه الله إذا رافقه رجل لم يخالفه وكان لا يصحب إلا من يوافقه ، وصحبه رجل شراك فأهدى رجل إلى إبراهيم فى بعض المنازل قصعة من ثريد ففتح جراب رفيقه وأخذ حزمة من شراك ، وجعلهما فى القصعة وردها إلى صاحب الهدية ، فلما جاء رفيقه قال : أين الشراك قال: ذلك الثريد الذى أكلته إيش كان قال : كنت تعطيه شراكين أو ثلاثة قال : اسمح يسمح لك ، وأعطى مرة حمارا كان لرفيقه بغير إذنه رجلا رآه راجلا ، فلما جاء رفيقه سكت ولم يكره ذلك .

قال ابن عمر رضي الله عنهما : أهدي لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة ، فقال : أخى فلان أحوج منى إليه ، فبعث به إليه ، فبعثه ذلك الإنسان إلى آخر فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى رجع إلى الأول بعد أن تداوله سبعة ، وروى أن

مسروقا أدان دينا ثقيلا وكان على أخيه خيثمة دين قال : فذهب مسروق ، فقضى دين خيثمة وهو لا يعلم وذهب خيثمة فقضى دين مسروق وهو لا يعلم .

« ولما آخى رسول الله ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع آثره بالمال والنفس ، فقال عبد الرحمن بارك الله لك فيهما فآثره بما آثره به ، وكأنه قبله ثم آثره به وذلك مساواة والبداية إيثار والإيثار أفضل من المساواة » (١٨١٢) .

وقال أبو سليمان الدارانى: لو أن الدنيا كلها لى فجعلتها فى فم أخ من إخوانى لاستقللتها له ، وقال أيضا : إنى لألقم اللقمة أخا من إخوانى فأجد طعمها فى حلقى .

ولما كان الإنفاق على الإخوان أفضل من الصدقات على الفقراء قال على رضي الله عنه : لعشرون درهما أعطيها أخى فى الله أحب إلىّ من أن أتصدق بمائة درهم على المساكين .

وقال أيضا : لأن أصنع صاعا من طعام وأجمع عليه إخوانى فى الله أحب إلىّ من أن أعتق رقبة واقتداء الكل في الإيثار برسول الله ﷺ **« فإنه دخل غيضة مع بعض أصحابه ، فاجتنى منها سواكين ، أحدهما معوج والآخر مستقيم، فدفع المستقيم إلى صاحبه ، فقال له : يا رسول الله كنت والله أحق بالمستقيم منى، فقال : ما من صاحب يصحب صاحبا ولو ساعة من النهار إلا سئل عن صحبته هل أقام فيها حق الله**

(١٨١٢) حديث : « لما آخى النبى ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع آثره بالمال والنفس فقال عبد الرحمن بارك الله لك فيهما » ولفظ القوت فآثره بما به آثره فكأنه استأنف هبة له لأنه قد كان ملكه إياه لسخاوته وحقيقة زهده وصدق مودّته فكانت المساواة لسعد والإيثار لعبد الرحمن بن عوف فزاد عليه وهذا من فضل المهاجرين على الأنصار إذ كانت المساواة دون الإيثار **قال العراقى** : المعروف أن سعد بن الربيع هو الذى عرض نفسه ونصف ماله وإحدى زوجتيه على عبد الرحمن بن عوف فقال له عبد الرحمن بارك الله لك فى أهلك ومالك هكذا رواه البخارى من حديث أنس .

قال مرتضى : وهذا على ما فى نسخة قال سعد والذى فى أيدينا قال عبد الرحمن فلا إشكال.

أم أضاعه » (١٨١٣) .

فأشـار بهذا إلى أن الإيثار هو القيام بحق الله فى الصحبة « وخرج رسول الله ﷺ إلى بئر يغتسل عندها فأمسك حذيفة بن اليمان الثوب وقام يستر رسول الله ﷺ حتى اغتسل ، ثم جلس حذيفة ليغتسل فتناول رسول الله ﷺ الثوب وقام يستر حذيفة عن الناس فأبى حذيفة وقال بأبى أنت وأمي يا رسول لا تفعل فأبى عليه السلام إلى أن يستره بالثوب حتى اغتسل » (١٨١٤) .

وقال ﷺ : **«ما اصطحب اثنان قط إلا كان أحبهما إلى الله أرفقهما بصاحبه»..**

وروى أن مالك بن دينار ومحمد بن واسع دخلا منزل الحسن وكان غائبا فأخرج محمد بن واسع سلة فيها طعام من تحت سرير الحسن فجعل يأكل فقال له مالك : كف يدك حتى يجيء صاحب البيت فلم يلتفت محمد إلى قوله وأقبل على الأكل وكان مالك أبسط منه وأحسن خلقا ، فدخل الحسن وقال يا مويلك هكذا كنا لا يحتشم بعضنا بعضا حتى ظهرت أنت وأصحابك ،

(١٨١٣) حديث : « أنه ﷺ دخل غيضة» هي الشجر الملتف «مع بعض أصحابه» ولفظ القوت وروى أن النبى ﷺ صحبه رجل فى طريق فدخل غيضة « فاجتنى منها سواكين أحدهما معوج والآخر مستقيم فدفع المستقيم إلي صاحبه وحبس المعوج إلى نفسه فقال يا رسول الله كنت أحق بالمستقيم منى فقال ما من صاحب يصحب صاحبا ولو ساعة من نهار إلا سئل عن صحبته هل أقام فيها حق الله أو أضاعه » كذا أورده صاحب القوت . **قال العراقى :** لم أقف له على أصل انتهى .

قال مرتضى : وقد يستأنس به ما تقوله العامة النبى سأل عن صحبة ساعة .

(١٨١٤) حديث : «خرج ﷺ إلى بئر يغتسل عندها فأمسك حذيفة بن اليمان رضي الله عنه الثوب على النبى ﷺ ونشره حتى اغتسل ثم جلس حذيفة ليغتسل فتناول النبى ﷺ الثوب وقام يستر حذيفة من الناس فأبى حذيفة وقال بأبى أنت وأمي يا رسول الله لا تفعل فأبى ﷺ إلا أن يستره بالثوب حتى اغتسل » هكذا أورده صاحب القوت . **قال العراقى :** لم أقف له على أصل . اهـ.

قال مرتضى : أخرجه ابن أبى عاصم فى الوحدان .

وأشار بهذا إلى أن الانبساط فى بيوت الإخوان من الصفاء فى الإخوة كيف وقد قال الله تعالى : ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ (النور: ٦١)، وقال: ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ﴾ (النور: ٦١) إذ كان الأخ يدفع مفاتيح بيته إلى أخيه ويفوض التصرف كما يريد، وكان أخوه يتحرج عن الأكل بحكم التقوى حتى أنزل الله تعالى هذه الآية ، وأذن لهم فى الانبساط فى طعام الإخوان والأصدقاء .

الحق الثانى : فى الإعانة بالنفس فى قضاء الحاجات ، والقيام بها قبل السؤال وتقديمها على الحاجات الخاصة ، وهذه أيضا لها درجات كالمواساة بالمال ، فأدناها القيام بالحاجة عند السؤال والقدرة ، ولكن مع البشاشة والاستبشار وإظهار الفرح وقبول المنة قال بعضهم : إذا استقضيت أخاك حاجة فلم يقضها فذكره ثانية فلعله إن يكون قد نسى فإن لم يقضها فكبر عليه واقرأ هذه الآية: ﴿وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ (الأنعام : ٣٦).

وقضى ابن شبرمة حاجة لبعض إخوانه كبيرة، فجاءه بهدية فقال: ما هذا ؟ قال : لما أسديته إلىَّ ، فقال : خذ مالك عافاك الله ، إذا سألت أخاك حاجة ، فلم يجهد نفسه فى قضائها ، فتوضأ للصلاة وكبر عليه أربع تكبيرات وعده فى الموتى .

قال جعفر بن محمد : إنى لاتسارع إلى قضاء حوائج أعدائي مخافة أن أردهم، فيستغنوا عنى ، هذا فى الأعداء فكيف فى الأصدقاء ، وكان فى السلف من يتفقد عيال أخيه وأولاده بعد موته أربعين سنة يقوم بحاجتهم ، ويتردد كل يوم إليهم ويمونهم من ماله ، فكانوا لا يفقدون من أبيهم إلا عينه ، بل كانوا يرون منه ما لم يروا من أبيهم فى حياته.

وكان الواحد منهم يتردد إلى باب دار أخيه ويسأل ويقول : هل لكم زيت هل لكم ملح هل لكم حاجة ؟ وكان يقوم بها من حيث لا يعرفه أخوه .

وبهذا تظهر الشفقة والأخوة، فإذا لم تثمر الشفقة حتى يشفق على أخيه كما يشفق على نفسه فلا خير فيها .

قال ميمون بن مهران : من لم تنتفع بصداقته لم تضرك عداوته .

وقال ﷺ : « **ألا وإن لله أوانى فى أرضه وهى القلوب فأحب الأوانى إلى الله تعالى أصفاها وأصلبها** » (١٨١٥) وأرقها أصفاها من الذنوب وأصلبها فى الدين وأرقها على الإخوان .

وبالجملة فينبغى أن تكون حاجة أخيك مثل حاجتك، أو أهم من حاجتك وأن تكون متفقدًا لأوقات الحاجة غير غافل عن أحواله كما لا تغفل عن أحوال نفسك ، وتغنيه عن السؤال وإظهار الحاجة إلى الاستعانة ، بل تقوم بحاجته ، كأنك لا تدرى أنك قمت بها ، ولا ترى لنفسك حقا بسبب قيامك بها ، بل تتقلد منة بقبوله سعيك فى حقه وقيامك بأمره ولا ينبغى أن تقتصر على قضاء الحاجة ؛ بل تجتهد فى البداية بالإكرام فى الزيادة والإيثار والتقديم على الأقارب والولد.

كان الحسن يقول : إخواننا أحب إلينا من أهلنا وأولادنا لأن أهلنا يذكروننا بالدنيا، وإخواننا يذكروننا بالآخرة .

وقال الحسن : من شيع أخاه فى الله بعث الله ملائكة من تحت عرشه يوم القيامة يشيعونه إلى الجنة .

وفى الأثر : ما زار رجل أخاه فى الله شوقا إلى لقائه إلا ناداه ملك من خلفه طبت وطابت لك الجنة .

(١٨١٥) حديث : قال ﷺ : « إن لله أوانى فى أرضه وهي القلوب فأحب الأوانى إلى الله أصفاها وأصلبها » **قال العراقى** : رواه الطبرانى من حديث أبى عتبة الخولانى إلا أنه قال ألينها وأرقها وإسناده جيد .اهـ.

قال مرتضى : أبو عقبة اسمه عبد الله بن عقبة قيل كان صلى القبلتين جميعًا وقيل ولد فى عهده ﷺ بل صحب معاذ بن جبل روى عنه أبو الزاهرية وبكر بن زرعة ومحمد بن زيان الألهانى ولفظ حديثه إن لله تعالى آنية من أهل الأرض وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين وأحبها إليه ألينها وأرقها وفى إسناده بقية بن الوليد وهو مدلس لكنه صرح بالتحديث فيه .

وقــال عطاء : « تفقدوا إخوانكم بعد ثلاث فإن كــانوا مرضى فعودوهم أو مـشاغيل فاعينوهم أو كانوا نسوا فذكروهم » (١٨١٦) .

وروى أن ابن عمر كان يلتفت يمينا وشـمالا بين يدى رسول الله ﷺ فسأله عن ذلك، فقال أحببت رجـلا فأنا أطلبه ولا أراه فقال : «إذا أحببت أحدا فـسله عن اسمه واسم أبيه وعن منزله فإن كان مريضا عدته وإن كان مشغولا أعنته » (١٨١٧) ، وفى رواية وعن اسم جده وعشيرته .

(١٨١٦) حديث : « تفقدوا إخـوانكم بعد ثلاث فإن كانوا مرضى فعودوهم أو مشـاغيل فأعينوهم أو كانوا نسـوا فذكروهم » نـقله صاحب القوت أى :إذا لم يأتك أخـوك بعد مـضى ثلاث ليال وجب عليك تفقده فـإنه لا يخلو من إحدى الحالات الثلاث إما مريض أو مـشغول أو نسى الصحبة والأخوّة فالمريض يعاد والمشغول يعان والناسى يذكر .

قال مرتضى : أغفله العراقى وقد روى هذا فى المرفوع من حديث أنس كان النبى ﷺ إذا فقد الرجل من إخوانه ثلاثة أيام سأل عنه فإن كـان غائبا دعا له وإن كان شاهدا زاره وإن كان مـريضا عاده أخرجـه أبو يعلى فى مسنده من طريق عـباد بن كثـير عن ثابت عن أنس وأخرج البيهـقى فى الشعب عن الأعمش قال كنا نقعد في المجلس فـإذا فقدنا الرجل ثلاثة أيام سألنا عنه فإن كان مريضا عدناه .

(١٨١٧) حديث : ابن عمر « إذا أحببت أحدًا فاسأله عن اسمه واسم أبيـه ومنزله وعشيرته » ولفظ القـوت وقد روينا عن النبى ﷺ أنه رأى ابن عـمر يلتـفت يمينا وشـمالا فـسأله فـقال : أحبـبت رجلا فأنا أطلبه ولا أراه فـقال : إذا أحببـت أحدا فسله عن اسمـه واسم أبيه وعن منزله فإن كان مريضا عدته وإن كان مشغولا أعنته ، وفى رواية أن ابن عمر ﷺ كان يلتفت يمينا وشمالا بين يدى النبى ﷺ وفيها عن اسم جده وعشيرته **قال العراقى:** رواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق والبيهقى فى شعب الإيمان بـسند ضعيف ورواه الترمذى من حديث يزيد بن نعامة وقال غريب ولا نعلم ليزيد بن نعامة سماع من النبى ﷺ انتهى .

قال مرتضى : وقد وقع لنا حديث مسلسل بقولهم لقيت فلانا فسألنى عن اسمى ونسبى وكنيتى وعن الموضـع الذى أنا ساكنه من طريق أبى الحسين مـحمد بن الـنضر الموصلى عن هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رفعه يا أنس أكثر من الأصدقاء فإنكم شفعاء بعضكم فى بعض هكذا أورده ابن ناصر الدين فى مـسلسلاته ورواه كذلك أبو جعفر محمد بن على الهمداني وأبو الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفى وأبو مسعود سليمان بن إبراهيم الأصبهانى الحافظ فى مسلسلاتهم من طرق مدارها على هدبه .

وقال الشعبى فى الرجل يجالس الرجل فيقول : أعرف وجهه ولا أعرف اسمه تلك معرفة النوكى . وقيل لابن عباس من أحب الناس إليك : قال جليسى وقال : ما اختلف رجل إلى مجلسى ثلاثا من غير حاجة له إلىّ فعلمت ما مكافأته من الدنيا.

وقال سعيد بن العاص : لجليسى علىّ ثلاث إذا دنا رحبت به ، وإذا حدث أقبلت عليه ، وإذا جلس أوسعت له .

وقد قال تعالى : ﴿ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (الفتح: ٢٩) . إشارة إلى الشفقة والإكرام .

ومن تمام الشفقة ان لا ينفرد بطعام لذيذ أو بحضور فى مسرة دونه بل يتنغص لفراقه ويستوحش بانفراده عن أخيه .

الحق الثالث : فى اللسان بالسكوت مرة وبالنطق أخرى ، أما السكوت فهو أن يسكت عن ذكر عيوبه فى غيبته وحضرته ، بل يتجاهل عنه ويسكت عن الرد عليه فيما يتكلم به ولا يماريه ولا يناقشه وإن يسكت عن التجسس والسؤال عن أحواله وإذا رآه فى طريق أو حاجة لم يفاتحه ، بذكر غرضه من مصدره ومورده ، ولا يسأله عنه فربما يثقل عليه ذكره أو يحتاج إلى أن يكذب فيه وليسكت عن أسراره التى بثها إليه ولا يبثها إلى غيره البتة ولا إلى أخص أصدقائه ولا يكشف شيئا منها ولو بعد القطيعة والوحشة ، فإن ذلك من لؤم الطبع وخبث الباطن وإن يسكت عن القدح فى أحبابه وأهله وولده وإن يسكت عن حكاية قدح غيره فيه ، فإن الذى سبك من بلغك.

وقال أنس: « **كان ﷺ لا يواجه أحدا بشىء يكرهه** » (١٨١٨) .

(١٨١٨) حديث : قال أنس بن مالك رضي الله عنه : « كان النبى ﷺ لا يواجه أحدا بشيء يكرهه » .

قال العراقى : رواه أبو داود والترمذى فى الشمائل والنسائى فى اليوم والليلة بسند ضعيف انتهى.

قال مرتضى : وكذلك رواه أحمد والبخارى فى الأدب المفرد ولفظهم جميعا كان لا يواجه أحدا فى وجهه بشىء يكرهه وسببه أن رجلا دخل وبه أثر صفرة فلما خرج قال لو أمرتم هذا أن يغسل هذا عنه .

والتأذى يحصل أولا من المبلغ ثم من القائل ، نعم لا ينبغى أن يخفى ما يسمع من الثناء عليه ، فإن السرور به أولاً يحصل من المبلغ للمدح ثم من القائل ، واخفاء ذلك من الحسد .

وبالجملة ، فليسكت عن كل كلام يكرهه جملة وتفصيلاً ، إلا إذا وجب عليه النطق فى أمر بمعروف أو نهى عن منكر ولم يجد رخصة فى السكوت ، فإذ ذاك لا يبالى بكراهته ، فإن ذلك إحسان إليه فى التحقيق وإن كان يظن أنها إساءة فى الظاهر . أما ذكر مساوئه وعيوبه ومساوئ أهله ، فهو من الغيبة وذلك حرام فى حق كل مسلم ويزجرك عنه **أمران :**

أحدهما : أن تطالع أحوال نفسك ، فإن وجدت فيها شيئا واحدا مذموما فهون على نفسك ما تراه من أخيك وقدر أنه عاجز عن قهر نفسه فى تلك الخصلة الواحدة كما أنك عاجز عما أنت مبتلي به ولا تستثقله بخصلة واحدة مذمومة ، فأى الرجال المهذب وكل ما لا تصادفه من نفسك في حق الله، فلا تنتظره من أخيك فى حق نفسك ، فليس حقك عليه بأكثر من حق الله عليك .

والأمر الثانى : أنك تعلم أنك لو طلبت منزها عن كل عيب ، اعتزلت عن الخلق كافة ، ولن تجد من تصاحبه أصلا، فما من أحد من الناس إلا وله محاسن ومساوي ، فإذا غلبت المحاسن المساوى، فهو الغاية والمنتهى .

فالمؤمن الكريم أبدا يحضر فى نفسه محاسن أخيه، لينبعث من قلبه التوقير والود والاحترام .

وأما المنافق اللئيم ، فإنه أبدا يلاحظ المساوى والعيوب . قال ابن المبارك : المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العثرات . وقال الفضيل : الفتوّة العفو عن زلات الإخوان .

ولذلك قال عليه السلام : « استعيذوا بالله من جار السوء الذى إن رأى خيرا ستره وإن رأى شرا أظهره » (١٨١٩).

وما من شخص إلا ويمكن تحسين حاله بخصال فيه ، ويمكن تقبيحه أيضا.

روى « أن رجلا أثنى على رجل عند رسول الله ﷺ فلما كان من الغد ذمه فقال عليه السلام أنت بالأمس تثنى عليه واليوم تذمه فقال والله لقد صدقت عليه بالأمس وما كذبت عليه اليوم إنه أرضانى بالأمس فقلت أحسن ما علمت فيه واغضبنى اليوم فقلت: أقبح ما علمت فيه فقال عليه السلام : إن من البيان لسحراً» (١٨٢٠).

(١٨١٩) حديث : قال ﷺ : «استعيذوا بالله من جار السوء الذى إن رأى خيرا ستره وإن رأى شرا أظهره » قال العراقى : رواه البخاري فى التاريخ من حديث أبى هريرة بسند ضعيف وللنسائى من حديث أبى هريرة وأبى سعيد بسند صحيح تعوّذوا بالله من جار السوء فى دار المقام انتهى.

قال مرتضى : وروى الحاكم من حديث أبى هريرة بلفظ استعيذوا بالله من شر جار المقام فإن جار المسافر إذا شاء أن يزايل زايل ورواه أيضا بلفظ اللهم إنى أعوذ بك من جار السوء فى دار المقامة فإن جار البادية يتحوّل وروي الطبرانى فى الكبير من حديث عقبة بن عامر اللهم إنى أعوذ بك من يوم السوء ومن ليلة السوء ومن ساعة السوء ومن صاحب السوء ومن جار السوء فى دار المقامة وأخرج ابن النجار من حديث سعيد المقبرى مرسلا اللهم إنى أعوذ بك من خليل ماكر عيناه ترياني وقلبه يرعاني إن رأى حسنة دفنها وإن رأى سيئة أذاعها وأما حديث النسائى الذى أشار إليه العراقى فقد أخرجه أيضا البيهقى فى الشعب وزاد هو والنسائى أيضا بعد قوله دار المقام فإن الجار البادى يتحوّل عنك وروى البيهقى أيضا فى معناه بسنده إلى الحسن قال قال لقمان لابنه يا بنى حملت الجندل وكل ثقيل فلم أحمل شيئا أثقل من جار السوء وذقت المرار فلم أذق شيئا أمر من الصبر وروي البيهقى أيضا من حديث أبى هريرة تعوّذوا بالله من ثلاث نوافر جار سوء أن رأى خيرا كتمه وإن رأى شرا أذاعه .... الحديث وسنده ضعيف .

(١٨٢٠) حديث : « أن رجلا أثنى على رجل عند رسول الله ﷺ فلما كان من الغد ذمه فقال ﷺ أنت بالأمس تثنى عليه واليوم تذمه فقال والله لقد صدقت عليه بالأمس وما كذبت عليه اليوم أنه أرضانى بالأمس فقلت أحسن ما علمت فيه واغضبنى اليوم فقلت أقبح ما علمت فيه فقال ﷺ : إن من البيان لسحراً » وكأنه كره ذلك فشبهه بالسحر. قال العراقى: رواه الطبرانى فى الأوسط والحاكم فى المستدرك من حديث أبى=

وكأنه كره ذلك فشبهه بالسحر .

ولذلك قال فى خبر آخر : «**البذاء والبيان شعبتان من النفاق**» (١٨٢١) .

وفى الحديث الآخر: « **إن الله يكره لكم البيان كل البيان**» (١٨٢٢) .

= بكرة إلا أنه ذكر المدح والذم فى مجلس واحد لا يومين ورواه الحاكم من حديث ابن عباس أطول منه بسند ضعيف أيضا انتهى .

قال مرتضى : إن من البيان لسحرا رواه أحمد والبخارى في النكاح والطب وأبو داود فى الأدب والترمذى في البر كلهم من حديث ابن عمر وعزاه صاحب المشارق إلى على ووهم فيه فإن البخارى لم يخرجه عنه وأما حديث ابن عباس فأخرجه أحمد وأبو داود بلفظ إن من البيان سحرا وإن من الشعر حكما وأما القصة ففى قدوم وفد تميم وفيهم الزبرقان وعمرو ابن الأهتم وإنهما خطبا ببلاغة وفصاحة ثم قال الزبرقان يا رسول الله أنا سيد بنى تميم والمطاع فيهم والمجاب لديهم أمنعهم من الظلم وآخذ لهم بحقوقهم وهذا يعلم ذلك فقال عمر وإنه لشديد العارضة مانع لجانبه مطاع فى أذينه فقال الزبرقان والله لقد علم منى أكثر مما قال ما منعه أن يتكلم إلا الحسد فقال عمرو أنا أحسدك فوالله إنه للئيم الخال حديث المال ضعيف العطن أحمق الولد والله يا رسول الله لقد صدقت فيما قلت أولا وما كذبت فيما قلت آخرا ولكنى رجل إن أرضيت قلت أحسن ما علمت وإن أغضبت قلت أقبح ما وجدت ولقد صدقت فى الأولى والأخرى فقال ﷺ إن من البيان سحرا قال الميدانى هذا المثل فى استحسان النطق وإيراد الحجة البالغة .

(١٨٢١) حديث : قال ﷺ : « البذاء والبيان شعبتان من النفاق » البذاء كسحاب الكلام القبيح يكون تارة من القوّة الشهوية كالرفث والسخف ومن القوة الغضبية تارة فمتى كان معه استعانة بالقوّة المفكرة كان منه السباب ومتى كان من مجرد الغضب كان صوتا مجردًا لا يفيد نطقا كما يرى ممن فار غضبه وهاج هائجه قاله الراغب والبيان هو التعمق فى إظهار الفصاحة فى المنطق وتكلف البلاغة فى أساليب الكلام . **قال العراقى** : رواه الترمذى وقال حسن غريب والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين من حديث أبى أمامة بسند ضعيف .اهـ.

(١٨٢٢) حديث : قال ﷺ : « إن الله كره لكم البيان كل البيان » . **قال العراقى** : رواه ابن السنى فى كتاب رياضة المتعلمين من حديث أبى أمامة بسند ضعيف انتهى .

قال مرتضى : ورواه الطبرانى فى الكبير كذلك وفى سنده عفير بن معدان وهو ضعيف.

وكذلك قال الشافعى رحمه الله : ما أحد من المسلمين يطيع الله ولا يعصيه ولا أحد يعصى الله ولا يطيعه فمن كانت طاعته أغلب من معاصيه فهو عدل وإذا جعل مثل هذا عدلا فى حق الله فبأن تراه عدلا فى حق نفسك ومقتضى أخوتك أولى .

وكما يجب عليك السكوت بلسانك عن مساويه، يجب عليك السكوت بقلبك وذلك بترك إساءة الظن .

فسوء الظن غيبة بالقلب ، وهو منهى عنه أيضا وحده أن لا تحمل فعله على وجه فاسد ما أمكن أن تحمله على وجه حسن .

فأما ما انكشف بيقين ومشاهدة ، فلا يمكنك أن لا تعلمه ، وعليك أن تحمل ما تشاهد على سهو ونسيان إن أمكن . وهذا الظن ينقسم إلى ما يسمى تفرسا ، وهو الذى يستند إلى علامة ، فإن ذلك يحرك الظن تحريكا ضروريا لا يقدر على دفعه وإلى ما منشؤه سوء اعتقادك فيه حتى يصدر منه فعل له وجهان ، فيحملك سوء الاعتقاد فيه على أن تنزله على الوجه الأردأ من غير علامة تخصه به ، وذلك جناية عليه بالباطن وذلك حرام فى حق كل مؤمن إذ قال ﷺ : **«إن الله قد حرم على المؤمن من المؤمن دمه وماله وعرضه وأن يظن به ظن السوء»** (١٨٢٣) .

وقال ﷺ : **« إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث »** (١٨٢٤) .

(١٨٢٣) حديث: قال ﷺ : « إن الله حرم من المؤمن دمه وماله وعرضه وأن يظن به ظن السوء» **قال العراقى :** رواه الحاكم فى التاريخ من حديث ابن عباس دون قوله وعرضه ورجاله ثقات إلا أن أبا على النيسابورى قال ليس هذا عندى من كلام النبى ﷺ إنما هو عندى من قول ابن عباس ولابن ماجه نحوه من حديث ابن عمر ولمسلم من حديث أبى هريرة كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه .

(١٨٢٤) حديث قال ﷺ : « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث » . **قال العراقى :** متفق عليه من حديث أبى هريرة . انتهى .

قال مرتضى: وكذلك رواه مالك وأحمد وأبو داود والترمذى وللحديث بقية يأتى ذكرها بعده وهو قوله ولا تجسسوا إلخ .

وسوء الظن يدعو إلى التجسس والتحسس وقد قال ﷺ : « **لا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا** » (١٨٢٥) .

والتجسس فى تطلع الأخبار ، والتحسس بالمراقبة بالعين، فستر العيوب والتجاهل والتغافل عنها شيمة أهل الدين . ويكفيك تنبيها على كمال الرتبة فى ستر القبيح وإظهار الجميل أن الله تعالى وصف به فى الدعاء فقيل يا من أظهر الجميل وستر القبيح والمرضى عند الله من تخلق بأخلاقه ، فإنه ستار العيوب وغفار الذنوب ومتجاوز عن العبيد ، فكيف لا تتجاوز أنت عمن هو مثلك أو فوقك وما هو بكل حال عبدك ومخلوقك .

وقد قال عيسى عليه السلام للحواريين : كيف تصنعون إذا رأيتم أخاكم نائمًا وقد كشف الريح ثوبه عنه . قالوا : نستره ونغطيه قال : بل تكشفون عورته ، قالوا : سبحان الله من يفعل هذا فقال : أحدكم يسمع بالكلمة فى أخيه فيزيد عليها ويشيعها بأعظم منها .

واعلم أنه «**لا يتم إيمان المرء ما لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» (١٨٢٦) .

وأقل درجات الأخوة ، أن يعامل أخاه بما يحب أن يعامله به . ولا شك أنه ينتظر منه ستر العورة والسكوت على المساوى والعيوب ، ولو ظهر له منه نقيض ما ينتظره اشتد عليه غيظه وغضبه فما أبعده إذا كان ينتظر منه ما لا يضمره له ولا يعزم عليه

(١٨٢٥) حديث : قال ﷺ : « لا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تقاطعوا ولا تدبروا وكونوا عباد الله إخوانا» **قال العراقى :** متفق عليه من حديث أبى هريرة وهو بعض الحديث الذى قبله .اهـ.

قال مرتضى : وهذا بقية الحديث الذى تقدم قبله ولفظه ولا تجسسوا بالجيم ولا تحسسوا بالحاء ولا تنافسوا ويروى ولا تناجشوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك وقد تقدم أنه أخرجه مالك وأحمد والشيخان والترمذى من حديث أبى هريرة .

(١٨٢٦) حديث : قال ﷺ : « لا يتم إيمان المرء ما لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

وقال مرتضى : أغفله العراقى وقد روى أحمد والشيخان وأبو داود والنسائى وابن ماجه من حديث أنس لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه أى لا يتم إيمانه .

لأجله وويل له فى نص كتاب الله تعالى حيث قال : ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ (المطففين: ١ - ٣) .

وكل من يلتمس من الإنصاف أكثر مما تسمح به نفسه، فهو داخل تحت مقتضى هذه الآية ، ومنشأ التقصير فى ستر العورة أو السعى فى كشفها الداء الدفين فى الباطن وهو الحقد والحسد .

فإن الحقود الحسود يملأ باطنه بالخبث ولكن يحبسه فى باطنه ويخفيه ولا يبديه مهما لم يجد له مجالا، وإذا وجد فرصة انحلت الرابطة ، وارتفع الحياء ويترشح الباطن بخبثه الدفين ، ومهما انطوى الباطن على حقد وحسد فالانقطاع أولى .

قال بعض الحكماء : ظاهر العتاب خير من مكنون الحقد ولا يزيد لطف الحقود إلا وحشة منه ومن فى قلبه سخيمة على مسلم ، فإيمانه ضعيف وأمره مخطر وقلبه خبيث لا يصلح للقاء الله .

وقد روى عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه أنه قال كنت باليمن ولى جار يهودى يخبرنى عن التوراة فقدم علىَّ اليهودى من سفر فقلت : إن الله قد بعث فينا نبيا، فدعانا إلى الإسلام فأسلمنا ، وقد أنزل علينا كتابا مصدقًا للتوراة فقال اليهودى: صدقت ولكنكم لا تستطيعون أن تقوموا بما جاءكم به ، إنا نجد نعته ونعت أمته فى التوراة : إنه لا يحل لامرئ أن يخرج من عتبة بابه وفى قلبه سخيمة على أخيه المسلم.

ومن ذلك أن يسكت عن إفشاء سره الذى استودعه ، وله أن ينكره وإن كان كاذبا، فليس الصدق واجبا فى كل مقام ، فإنه كما يجوز للرجل أن يخفى عيوب نفسه وأسراره وإن احتاج إلى الكذب ، فله أن يفعل ذلك فى حق أخيه . فإن أخاه نازل منزلته ، وهما كشخص واحد لا يختلفان إلا بالبدن .

هذه حقيقة الأخوة وكذلك لا يكون بالعمل بين يديه مرائيًا وخارجا عن أعمال السر إلى أعمال العلانية ، فإن معرفة أخيه بعمله كمعرفته بنفسه من غير فرق . وقد قال عليه السلام: « **من ستر عورة أخيه ستره الله تعالى فى الدنيا والآخرة** » (١٨٢٧) .

وفى خبر آخر: « **فكأنما أحيا موؤدة** » (١٨٢٨) .

(١٨٢٧) حديث : قال ﷺ : « من ستر عورة أخيه ستره الله فى الدنيا والآخرة ». **قال العراقى :** رواه ابن ماجه من حديث ابن عباس وقال يوم القيامة ولم يقل فى الدنيا ولمسلم من حديث أبى هريرة من ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة وللشيخين من حديث ابن عمر من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة انتهى .

قال مرتضى : لفظ حديث ابن عباس عند ابن ماجه من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة ومن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفضحه بها وروى عبد الرزاق من حديث عقبة بن عامر من ستر مؤمنا فى الدنيا على عورة ستره الله يوم القيامة وروى أبو نعيم من حديث ثابت بن مخلد من ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة وزاد عبد الرزاق وأحمد وابن أبى الدنيا فى قضاء الحوائج والخطيب من حديث مسلمة بن مخلد ومن فك عن مكروب فك الله عنه كربة من كرب يوم القيامة .... الحديث وروى الخرائطى في مكارم الأخلاق حديث ابن عمر من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة وروى أحمد عن رجل من الصحابة من ستر أخاه المسلم فى الدنيا ستره الله يوم القيامة وروى عبد الرزاق من حديث عقبة بن عامر من ستر أخاه فى فاحشة رآها عليه ستره الله فى الدنيا والآخرة .

(١٨٢٨) حديث : قال ﷺ : « من ستر عورة أخيه فكأنما أحيا موؤدة من قبرها ». **قال العراقى :** رواه أبو داود والنسائي والحاكم من حديث عقبة بن عامر من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا موؤدة زاد الحاكم من قبرها وقال صحيح الإسناد انتهى .

قال مرتضى : ورواه أيضا البخارى فى الأدب المفرد بهذه الزيادة وروى أحمد وابن ماجه من حديثه أيضا بلفظ من ستر على مؤمن عورة فكأنما أحيا موؤدة من قبرها ورواه بهذا اللفظ ابن مردويه والبيهقى والخرائطى فى مكارم الأخلاق وابن عساكر وابن النجار من حديث جابر ورواه الطبرانى فى الأوسط من حديث مسلمة بن مخلد وروى الطبرانى فى الكبير والضياء فى المختارة من حديث رجل من الصحابة اسمه جابر بن شهاب كان ينزل مصر بلفظ من ستر على مؤمن عورة فكأنما أحيا ميتا وروى الخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث عقبة بلفظ من ستر على مؤمن جريمة فكأنما أحيا موؤدة من قبرها ولابن حبان والبيهقى من حديثه من ستر عورة مؤمن فكأنما استحيا موؤدة فى قبرها وعند البيهقى من حديث أبى هريرة من ستر على مؤمن فاحشته فكأنما أحيا موؤدة .

وقال عليه الصلاة والسلام: « إذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهو أمانة»(١٨٢٩) .

وقال: « المجلس بالأمانة» (١٨٣٠) .

« إلا ثلاثة مجالس مجلس يسفك فيه دم حرام ومجلس يستحل فيه فرج حرام ومجلس يستحل فيه مال من غير حله » (١٨٣١) .

(١٨٢٩) حديث : قال ﷺ : « إذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهي أمانة » عند المحدث فيجب عليه كتمها إذ التفاته بمنزلة استكتامه بالنطق. **قال العراقي** : رواه أبو داود والترمذي من حديث جابر وقال حسن انتهى .

قال مرتضى : أخرجه أبو داود في الأدب والترمذي في البر والصلة وكذلك أخرجه أحمد والضياء في المختارة وصححه وأخرجه أبو يعلي من حديث أنس وفيه حبارة بن المغلس ضعيف وبقية رجاله ثقات .

(١٨٣٠) حديث : قال ﷺ « المجالس بالأمانة » فلا يشيع حديث جليسه إلا فيما يحرم ستره من الإضرار بالمسلمين ولا يبطن غير ما يظهره .

قال مرتضى : أغفله العراقي رواه ابن ماجه من حديث جابر والخطيب من حديث علي وأورده القضاعي في الشهاب وكذا الديلمي والعسكري كلهم من طريق حسين بن عبد الله ابن حمزة عن أبيه عن جده عن علي وقال الحافظ في الفتح سنده ضعيف فلا يلتفت إلى قول شراح الشهاب كأبي بكر العامري البغدادي والحضرمي أنه صحيح ويروى بزيادة إلا ثلاثة مجالس مجلس يسفك فيه دم حرام - أي يراق دم سائل من مسلم بغير حق - ومجلس يستحل فيه فرج حرام - أي على وجه الزنا - ومجلس يستحل فيه مال من غير حله .

(١٨٣١) حديث : قال ﷺ : « المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس مجلس يسفك فيه دم حرام ومجلس يستحل فيه فرج حرام ومجلس يستحل فيه مال من غير حله » . **قال العراقي** : رواه أبو داود من حديث جابر من رواية ابن أخيه غير مسمى عنه انتهى .

قال مرتضى : ولفظه في الأدب إلا ثلاثة مجالس سفك دم حرام أو اقتطاع مال بغير حق قال المنذري ابن أخي جابر مجهول قال وفيه أيضا عبد الله بن نافع الصائغ روى له مسلم وغيره وفيه كلام .اهـ. ولكن سكوت أبي داود عليه يدل على حسنه والله أعلم وروى أبو الشيخ في كتاب التوبيخ من حديث عثمان بن عفان وابن عباس بلفظ إنما المجالس بالأمانة والمعنى المجالس الحسنة إنما هي المصحوبة بالأمانة .

وقال ﷺ : «إنما يتجالس المتجالسان بالأمانة ولا يحل لأحدهما أن يفشى على صاحبه ما يكره» (١٨٣٢) .

قيل لبعض الأدباء : كيف حفظك للسر؟ قال : أنا قبره . وقد قيل صدور الأحرار قبور الأسرار . وقيل : إن قلب الأحمق فى فيه ولسان العاقل فى قلبه أى لا يستطيع الأحمق إخفاء ما فى نفسه، فيبديه من حيث لا يدرى به . فمن هذا يجب مقاطعة الحمقى والتوقى عن صحبتهم بل عن مشاهدتهم .

وقد قيل لآخر : كيف تحفظ السر ؟ قال : أجحد المخبر وأحلف للمستخبر . وقال آخر : أستره واستر أنى أستره .

وعبر عنه ابن المعتز فقال :

ومستودعى سرا تبوأت كتمه فأودعته صدرى فصار له قبرا

وقال آخر: وأراد الزيادة عليه :

وما السر فى صدرى كثاو بقبره لأنى أرى المقبور ينتظر النشرا
ولكننى أنساه حتى كأننى بما كان منه لم أحط ساعة خبرا
ولو جاز كتم السر بينى وبينه عن السر والأحشاء لم تعلم السرا

وأفشى بعضهم سرا له إلى أخيه ثم قال له : حفظت ، فقال : بل نسيت .

(١٨٣٢) حديث : قال ﷺ : «إنما يتجالس المتجالسان بالأمانة لا يحل لأحدهما أن يفشى على صاحبه ما يكره» كذا فى القوت **قال العراقى :** رواه أبو بكر بن لال فى مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود بإسناد ضعيف ورواه ابن المبارك فى الزهد من رواية أبى بكر بن حزم مرسلا والحاكم وصححه من حديث ابن عباس : إنكم تجالسون بينكم بالأمانة . اهـ.

قال مرتضى : والحاكم من حديث ابن عباس بلفظ إنما يتجالس المتجالسان بأمانة الله تعالى فلا يحل لأحدهما أن يفشى على صاحبه ما يخاف وفى سنده. وسند ابن لال عبد الله ابن محمد ابن المغيرة قال الذهبى فى الضعفاء قال العقيلى يحدث بما لا أصل له وقال ابن عدى عامة أحاديثه لا يتابع عليها وأما مرسل أبى بكر بن حزم فقد رواه البيهقى فى الشعب وقال هذا مرسل جيد .

وكان أبو سعيد الثورى يقول : إذا أردت أن تواخى رجلا فاغضبه ، ثم دس عليه من يسأله عنك وعن أسرارك ، فإن قال خيرا وكتم سرك فاصحبه . وقيل لأبى يزيد من تصحب من الناس قال : من يعلم منك ما يعلم الله ثم يستر عليك كما يستره الله . وقال ذو النون : لا خير فى صحبة من لا يحب أن يراك إلا معصوما ومن أفشى السر عند الغضب فهو اللئيم ، لأن إخفاءه عند الرضا تقتضيه الطباع السليمة كلها .

وقد قال بعض الحكماء : لا تصحب من يتغير عليك عند أربع : عند غضبه ورضاه وعند طمعه وهواه ، بل ينبغى أن يكون صدق الأخوة ثابتا على اختلاف هذه الأحوال .

ولذلك قيل :

وترى الكريم إذا تصرم وصله ... يخفى القبيح ويظهر الإحسانا
وترى اللئيم إذا تقضى وصله ... يخفى الجميل ويظهر البهتانا

وقال العباس لابنه عبد الله : إنى أرى هذا الرجل يعنى عمر رضي الله عنه يقدمك على الأشياخ ، فاحفظ عنى خمسا : لا تفشين له سرا ولا تغتابن عنده أحدا ولا تجربن عليه كذبا ولا تعصين له أمرا ولا يطلعن منك على خيانة . فقال الشعبى : كل كلمة من هذه الخمس خير من ألف .

ومن ذلك السكوت عن المماراة والمدافعة فى كل ما يتكلم به أخوك .

قال ابن عباس : لا تمار سفيها فيؤذيك ولا حليما فيقليك . وقد قال صلى الله عليه وسلم : **«من ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت فى ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بنى له بيت فى أعلى الجنة»** .

هذا مع أن تركه مبطلا واجب ، وقد جعل ثواب النفل أعظم لأن السكوت عن الحق أشد على النفس من السكوت على الباطل . **« وإنما الأجر على قدر النصب»** (١٨٣٣) .

(١٨٣٣) حديث : قال صلى الله عليه وسلم : « إنما الأجر على قدر النصب » أى التعب والمشقة .

قال مرتضى : أغفله العراقى وقد جاء فى حديث صحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعائشة =

وأشد الأسباب لإثارة نار الحقد بين الإخوان المماراة والمنافسة ، فإنها عين التدابر والتقاطع ، فإن التقاطع يقع أولا بالآراء ثم بالأقوال ثم بالأبدان .

وقال ﷺ : « **لا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحرمه ولا يخذله بحسب المرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم**»(١٨٣٤) .

وأشد الاحتقار المماراة ، فإن من رد على غيره كلامه . فقد نسبه إلى الجهل والحمق أو إلى الغفلة والسهو عن فهم الشيء على ما هو عليه وكل ذلك استحقار وإيغار للصدر وإيحاش .

وفى حديث أبى أمامة الباهلى قال : « **خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتمارى فغضب وقال : ذروا المراء لقلة خيره وذروا المراء فإن نفعه قليل وإنه يهيج**

= بعد اعتمارها إن لك من الأجر على قدر نصبك ونفقتك قال النووى وظاهره أن الثواب والفضل فى العبادة بكثرة النصب والنفقة قال الحافظ ابن حجر وهو كما قال ولكنه ليس بمطرد .

(١٨٣٤) حديث : قال ﷺ : « لا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم .... الحديث » **قال العراقى** : رواه مسلم من حديث أبى هريرة وأوله متفق عليه من حديثه وحديث أنس وقد تقدم بعضه فى حديث رقم ١٨٢٥ ص ١٦٥٤ . اهـ.

قال مرتضى : وهذا بعض من حديث أبى هريرة السابق ذكره فى حديث رقم ١٨٢٤ ص ١٦٥٣ وحديث إياكم وسوء الظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا إلى آخره ذكره في حديث رقم ١٨٢٥ ص ١٦٥٤ وأوله متفق عليه من حديثه كما تقدم وروى الطبرانى فى الكبير من حديث أبى أيوب لا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانا هجرة المؤمنين ثلاث فإن تكلما وإلا أعرض الله عز وجل عنهما حتى يتكلما وأخرج مالك والطيالسى وأحمد والشيخان وأبو داود والترمذى من حديث أنس لا تباغضوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم الله ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام وأخرج ابن أبى شيبة فى المصنف من حديث أبى بكر لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا وروى أحمد ومسلم من حديث أبى هريرة لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا .

العداوة بين الإخوان» (١٨٣٥) .

وقال بعض السلف : من لاحى الإخوان وماراهم قلت مروءته وذهبت كرامته .

وقال عبد الله بن الحسن : إياك ومماراة الرجال ، فإنك لن تعدم مكر حليم أو مفاجأة لئيم .

وقال بعض السلف : أعجز الناس من قصر فى طلب الإخوان وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم .

وكثرة المماراة توجب التضييع والقطيعة وتورث العداوة . وقد قال الحسن : لا تشتر عداوة رجل بمودة ألف رجل .

وعلى الجملة فلا باعث على المماراة إلا إظهار التميز بمزيد العقل والفضل واحتقار المردود عليه بإظهار جهله .

وهذا يشتمل على التكبر والاحتقار والإيذاء والشتم بالحمق والجهل . ولا معنى للمعاداة إلا هذا ، فكيف تضامه الأخوة والمصافاة .

فقد روى ابن عباس عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **لا تمار أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه** » (١٨٣٦) .

(١٨٣٥) حديث : أبى أمامة الباهلى قال : « خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتمارى فغضب وقال ذروا المراء لقلة خيره فإن نفعه قليل فإنه يهيج العداوة بين الإخوان » كذا فى القوت إلا أنه قال ذروا المراء لقلة خيره ذروا المراء فإن نفعه قليل وأنه يهيج والباقى سواء. **قال العراقى:** رواه الطبرانى فى الكبير من حديث أبى أمامة وأبى الدرداء وواثلة وأنس دون ما بعد قوله لقلة خيره ومن هنا إلى آخر الحديث رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى أمامة فقط وإسنادهما ضعيف . اهـ.

وقال مرتضى : وروى الديلمى من حديث معاذ دعوا الجدال والمراء لقلة خيرهما فإن أحد الفريقين كاذب فيأثم الفريقان .

(١٨٣٦) حديث : روى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال: « لا تمار أخاك » أى لا تخاصمه «ولا تمازحه» بما يتأذى به « ولا تعده موعدا فتخلفه » . **قال العراقى:** رواه الترمذى وقال غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه يعنى من حديث ليث بن أبى سليم وضعفه الجمهور. انتهى.

وقد قال عليه السلام : « **إنكم لا تسعون الناس بأموالكم ولكن ليسعهم منكم بسط وجه وحسن خلق** » (١٨٣٧) .

والمماراة مضادة لحسن الخلق . وقد انتهى السلف فى الحذر عن المماراة والحض على المساعدة إلى حد لم يروا السؤال أصلا، وقالوا: إذا قلت لأخيك قم فقال إلى أين فلا تصحبه بل قالوا ينبغى أن يقوم ولا يسأل .

وقال أبو سليمان الدارانى : إنى كان لى أخ بالعراق فكنت أجيئه في النوائب ، فأقول: اعطنى من مالك شيئا ، فكان يلقى إلىّ كيسه فآخذ منه ما أريد فجئته ذات يوم فقلت أحتاج إلى شيء فقال : كم تريد فخرجت حلاوة إخائه من قلبى . وقال آخر إذا طلبت من أخيك مالا فقال ماذا تصنع به فقد ترك حق الإخاء .

واعلم أن قوام الأخوّة بالموافقة فى الكلام والفعل والشفقة .

قال أبو عثمان الحيرى : موافقة الإخوان خير من الشفقة عليهم وهو كما قال .

= **قال مرتضى** : رواه هكذا فى البر والصلة من طريق ليث بن أبى سليم قال الذهبى : فيه ضعف من جهة حديثه وروى أبو نعيم فى الحلية من حديث معاذ بن جبل بسند ضعيف إذا أحببت رجلا فلا تماره ولا تشاره ولا تسأل عنه أحدا فعسى أن توافق له عدوا فيخبرك بما ليس فيه فيفرق ما بينك وبينه .

(١٨٣٧) حديث: قال ﷺ : « إنكم لا تسعون الناس بأموالكم» بفتح السين أى لا تطيقون أن تعموا وفى رواية إنكم لن تسعوا أى لا يمكنكم ذلك « ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق » وفى رواية فسعوهم بأخلاقكم وذلك أن استيعاب عامتهم بالإحسان بالفعل غير ممكن فأمر بجبر ذلك بالقول حسبما نطق به وقول الناس حسنا قال العسكرى فى الأمثال بعد أن أخرجه نقلا عن المولى قال لو وزنت كلمته ﷺ بأحسن كلام الناس كلهم لرجحت على ذلك يعنى بها هذا الحديث . **قال العراقى** : رواه أبو يعلى الموصلى والطبرانى فى مكارم الأخلاق وابن عدى فى الكامل وضعفه والحاكم وصححه والبيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة انتهى .

قال مرتضى : وكذا رواه البزار وأبو نعيم وأما البيهقى فإنه أخرجه من طريق الطبرانى وقال تفرد به عبد الله بن سعيد المقبرى عن أبيه وروى من وجه آخر ضعيف عن عائشة انتهى وفى الميزان عبد الله بن سعيد هذا واه بمرة وقال العلائى منكر الحديث متروك وقال يحيى استبان كذبه وقال الدارقطنى متروك ذاهب وساق له أخبارا منها هذا ثم قال وقال البخارى تركوه وأما سند أبى يعلى فقال العلائى إنه حسن .

الحق الرابع : على اللسان بالنطق ، فإن الأخوّة كما تقتضى السكوت عن المكاره ، تقتضى أيضا النطق بالمحاب ، بل هو أخص بالأخوّة لأن من قنع بالسكوت صحب أهل القبور . وإنما تراد الإخوان ليستفاد منهم لا ليتخلص عن أذاهم . والسكوت معناه كف الأذى ، فعليه أن يتودد إليه بلسانه ويتفقده فى أحواله التى يحب أن يتفقد فيها كالسؤال عن عارض إن عرض واظهار شغل القلب بسببه واستبطاء العافية عنه . وكذا جملة أحواله التى يكرهها ينبغى أن يظهر بلسانه وأفعاله كراهتها . وجملة أحواله التى يسر بها ينبغى أن يظهر بلسانه مشاركته له فى السرور بها ، فمعنى الأخوة المساهمة فى السراء والضراء .

وقد قال عليه السلام : « **إذا أحب أحدكم أخاه فليخبره** » (١٨٣٨) .

وإنما أمر بالإخبار ، لأن ذلك يوجب زيادة حب ، فإن عرف أنك تحبه أحبك بالطبع لا محالة ، فإذا عرفت أنه أيضا يحبك زاد حبك لا محالة، فلا يزال الحب يتزايد من الجانبين ويتضاعف والتحاب بين المؤمنين مطلوب فى الشرع ومحبوب فى الدين ولذلك علم فيه الطريق فقال: «**تهادوا تحابوا** » (١٨٣٩) .

(١٨٣٨) حديث : قال ﷺ : « إذا أحب أحدكم أخاه » أى لما فيه من الصفات المرضية « فليخبره » ندبا مؤكدا أى أنه يحبه . **قال العراقى** : رواه أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح والحاكم من حديث المقدام بن معدى كرب انتهى .

قال مرتضى : وكذلك رواه أحمد والبخارى فى الأدب المفرد والنسائى وابن حبان كلهم من طريق حبيب بن عبيد عن المقدام والمقدام صحابى له وفادة نزل حمص ومات سنة سبع وثمانين فلفظ أبى داود فليخبره أنه يحبه ولفظ البخارى فليعلمه أنه أحبه ولفظ الترمذى فليعلمه إياه ولفظ النسائى فليعلمه ذلك ورواه ابن حبان أيضا من حديث أنس والبخارى فى الأدب أيضا من حديث رجل من الصحابة وأخرج البيهقى فى الشعب من حديث ابن عمر إذا أحب أحدكم عبدا فليخبره فإنه يجد مثل الذى يجد له وأخرج أحمد والضياء فى المختارة من حديث أبى ذر إذا أحب أحدكم صاحبه فليأته منزله فليخبره أنه يحبه لله .

(١٨٣٩) حديث : قال ﷺ : « تهادوا تحابوا » رواه أبو هريرة وأخرجه البيهقى وغيره وقد تقدم الكلام عليه فى حديث رقم ١٧٥٢ ص ١٥٨٢ . =

ومن ذلك أن تدعوه بأحب أسمائه إليه في غيبته وحضوره .

قال عمر رضي الله عنه : ثلاث يصفين لك ود أخيك أن تسلم عليه إذا لقيته أولا ، وتوسع له فى المجلس ، وتدعوه بأحب أسمائه إليه . ومن ذلك أن تثنى عليه بما تعرف من محاسن أحواله عند من يؤثر هو الثناء عنده ، فإن ذلك من أعظم الأسباب فى جلب المحبة وكذلك الثناء على أولاده وأهله وصنعته وفعله حتى على عقله وخلقه وهيئته وخطه وشعره وتصنيفه ، وجميع ما يفرح به وذلك من غير كذب وإفراط ولكن تحسين ما يقبل التحسين لابد منه .

وآكد من ذلك أن تبلغه ثناء من أثنى عليه مع إظهار الفرح ، فإن إخفاء ذلك محض الحسن ومن ذلك أن تشكره على صنيعه فى حقك ، بل على نيته وإن لم يتم ذلك .

قال على رضي الله عنه : « من لم يحمد أخاه على حسن النية لم يحمده على حسن الصنيعة » . وأعظم من ذلك تأثيرا فى جلب المحبة الذب عنه فى غيبته ، مهما قصد بسوء أو تعرض لعرضه بكلام صريح أو تعريض .

فحق الأخوة ، التشمير فى الحماية والنصرة وتبكيت المتعنت وتغليظ القول عليه والسكوت عن ذلك موغر للصدر ومنفر للقلب وتقصير فى حق الأخوّة وإنما شبه رسول الله ﷺ الأخوين باليدين ، تغسل إحداهما الأخرى . لينصر أحدهما الآخر وينوب عنه .

وقد قال رسول الله ﷺ : « **المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه** » .

قال مرتضى : أى تهادوا بينكم تزدادوا محبة مع بعضكم وعند الطبرانى من حديث أم حكيم تهادوا فإن الهدية تضعف الحب وتذهب بغوائل الصدر وعند البيهقى من حديث أنس تهادوا فإن الهدية تذهب بالسخيمة إلى غير ذلك من الأخبار الواردة مما تقدم ذكر بعضها .



بسم الله الرحمن الرحيم

نور اليقين في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

إحياء علوم الدين للإمام الغزالى موسوعة إسلامية كبرى لا يستغنى عنها كل مسلم فقد جمع فيه الإمام الغزالى أمور الإسلام على أربعة كتب : العبادات ، والمعاملات ، والمهلكات ، والمنجيات ، فأجاد وأفاد .

وقد أورد الإمام الغزالى آلاف الأحاديث كانت مصدراً لآرائه بعد كتاب الله ، أتى بها محذوفة الأسانيد .

وقد عنى **الحافظ العراقى** بتخريج بعض الأحاديث وتعقب مصدرها ، ثم جاء **السيد محمد الزبيدى الشهير بمرتضى** فاستكمل عمل الحافظ العراقى وتعقب بعض الأحاديث التى لم يجد لها الحافظ العراقى أصلا فذكر لها أصولاً تقويها وتنقلها من الضعف إلى القوة وذلك بالرجوع إلى أمهات كتب الحفّاظ .

ولقد قام شيخ المحدثين فى عصره **فضيلة الشيخ محمد الحافظ التجانى** بمراجعة تخريجى الحافظ العراقى والسيد مرتضى الزبيدى ورأى جمعهما فى كتاب واحد وهو أحد أعماله الجليلة المتعددة كترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الحديث للنابلسى ... وغيرها من أعمال لم يقصد بها إلا وجه الله عز وجل .

اتفق جمهور العلماء على أن الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الأعمال لأنها مأمور بها أمراً عامّا ولا تصطدم بعقيدة ولا بأصل من الأصول ولا تحل حراما ولا تحرم حلالاً ، وقد يسوق العلماء الأحاديث الضعيفة بجوار الحديث الحسن أو الصحيح ليزداد السند به قوة وهذا معروف فى فن الحديث .

بمشيئة الله تعالى ستوالى « **دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع** » نشره فى أعداد متتابعة .

والله ولى التوفيق ،

هانى غريب